موسوعة

خلفاء المسلمين

اعداد الشيخ زهير الكبي



دار الفكر العربي
بيروت

موسوعة

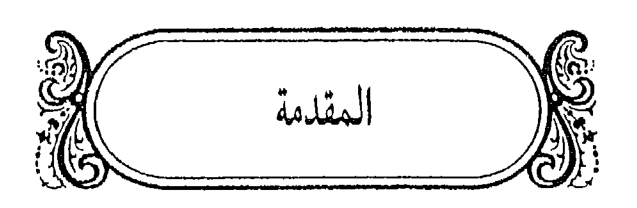
خلفاء المسلمين



للطباعة والنشر

كورنيش المزرعة مقابل بنك بيروت والرياض
بناية مبنداوي سنتر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
ص.ب : ١٤/٥٠٧٠ - بيروت، لبنان

الطبعة الاولى ١٩٩٤



المقدمة

يدفع التاريخ كثير من علماء هذا الفن في الغوص في تفسير وتعليل حوادثه، ووضعه ضمن الإطار الفلسفي لأسباب الحدث. وكثيراً ما يدرس المؤرخون الاحتمالات الممكنة التي لو سلكها أفراد وأبطال «الحدث» لكان من الممكن أن «تغير مجرى التاريخ» بزعمهم، فيهرعون إلى استقصاء الفرضيات والنظريات والاستنتاجات ويحملون الوثيقة «القصة» أكثر مما أراد لها محررها، فيتدخل المؤرخ، من حيث أراد أو لم يرد، في صنع الحدث، ومن هنا لا تعود الوثيقة تخبرنا بما حدث وإنما ما أراده المؤرخ هو من نفسه ومن الآخرين أن يعتقدوا بأنه حدث.

وربما هدف المؤرخون في عملهم التحليلي هذا الإجابة عن السؤال الكبير: **ما هي فائدة التاريخ؟** وذلك حينما يعتقد المؤرخ أن التاريخ هو عمل لخدمة الحاضر وخدمة المستقبل، وبمعنى آخر فإن تربية النشىء لا تكون صحيحة وكاملة إذا جهلنا ماضي سلالة من نربي وحياة أبويه وجدوده، وعبر آخرون عن فائدة التاريخ بأن عهود النكبات في التاريخ الإنساني كانت دائماً حافزاً على التفكير في الماضي وفي المصير(١)، ولذلك رأينا المفكر والمؤرخ الكبير ابن خلدون لا ينفك

(١) يقول كولنغوود الفيلسوف المؤرخ في جامعة اكسفورد: «إن الماضي الذي يقوم المؤرخ بدارسته هو ليس بالماضي الميت ولكنه، بمعنى ما، ماض ما يزال يعيش في الحاضر» (عن ما هو التاريخ، لادوارد كار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٢٣).

يوحي بأن مجرى التاريخ ينتج عن ظروف البيئة أكثر منه عن التصرفات الحرة للفرد أو للأفراد[1].

إن هذا الأسلوب الذي اتبعه كثير من المؤرخين أثرى مكتبتنا التاريخية، وأغناها بمؤلفات لا يستغني الباحث عن الرجوع إليها، إلا أني في كتابي هذا انتهجت نهجاً مختلفاً تماماً، فقد عمدت إلى أمهات كتب التاريخ، أبحث فيها عن «الحدث المؤثر» في التاريخ أختصره من غير إجحاف واثبته حسب تاريخ حدوثه، كل ذلك تحت عنوان أساسي وهو فترة الخليفة الذي تولى أمر الأمة، وذلك من غير تحليل أو تفسير حتى لا أؤثر في الحدث، وأنا بذلك لا أزعم أني كتبت حقائق التاريخ مطلقة بصورة بحتة، فالأسلوب والتعبير عن الحدث بحد ذاته هو تأثير في الرواية التاريخية، واعتماد رواية دون أخرى هو تدخل من ناحيتي في الحدث. وحرصي هذا على التجرد جعلني لا أضع المقدمات والتحليلات من الناحية الإجتماعية والثقافية والسياسية أمام فصول الكتاب، تاركاً هذا الأمر للكتب المتخصصة ولكتب التاريخ التحليلة.

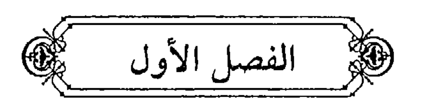
إني بعملي هذا أحاول جاهداً أن أضع بين يدي القارىء تاريخاً إسلامياً منذ عهد الرسول ﷺ وحتى انتهاء فترة الخلافة الإسلامية، تبنى فقراته على أساس السنين، جاهداً في إثبات الروايات القوية الراجحة عند المؤرخين، ومختصراً لتفصيلات «الحدث» التي تملأ أمهات كتب التاريخ.

ولا يسعني بعد هـذا إلا أن أطلب من الله الرضى عن هذا العمل، وبعده القبول من القارىء، راجياً أن أكون وفقت لكتابة تاريخ أمتنا الإسلامية بتجرد تام. والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصر.

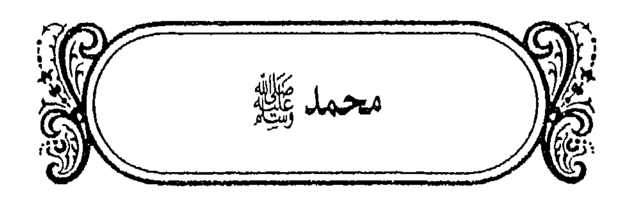
زهير شفيق الكبي

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون.



سيـــرة النـــبي ﷺ



محمد ﷺ

نسبه الشريف وولادته:

هو محمد (ﷺ) ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ويصل نسبه الشريف إلى سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهي أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً[١].

ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول في العام الذي سمي بعام الفيل[٢].

وكان أبوه قد مات وأمه حامل به، فلما وضعته أرسلت إلى جده تخبره بولادته، فأخذه جده ودخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه.

رضاعته:

أول من أرضعه ثويبة عتيقة عمه أبي لهب، وكانت أرضعت عمه حمزة. ثم استأجر له جده حليمة السعدية (من بني سعد) مرضعاً من البادية، جرياً على عادة

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٦٣.

(٢) يقابله بالسنة الميلادية ٥٧٠ م وقيل ٥٧١ م، حيث ذكر المرحوم محمود باشا الفلكي أن ولادة الرسول ﷺ كانت في صبيحة يوم الإثنين التاسع من شهر ربيع الأول الموافق ٢٠ نيسان (أبريل) سنة ٥٧١ م (عن هامش تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن ١/ ٧٥، والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص ٩٩). وفي إحدى الروايات في تاريخ الإسلام للذهبي أن ولادته ﷺ كانت في العشرين من نيسان (جزء السيرة النبوية ص ٢٧).

الأشراف من قريش، فنشأ عليه الصلاة والسلام طفولته في البادية. وعرفت حليمة أثناء رضاعته الخير والبركة والزيادة في اللبن.

شق بطنه

وفي السنة الرابعة من مولده جاءه ملكان، فشقا بطنه واستخرجا من قلبه علقة سوداء، ثم غسلا قلبه وبطنه، وكان ذلك حينما كان في بني سعد، حيث كان يرعى الغنم مع أخوته من الرضاعة. وفي البادية استفاد اللغة من أصولها وأهلها، حيث كان يقول لأصحابه فيما بعد: «أنا أعربكم، أنا قرشي، واسترضعت في بني سعد بن بكر».

وفاة أمه وجده وكفالة عمه

وحينما بلغ السادسة من عمره، أخذته أمه إلى يثرب (المدينة المنورة) لزيارة أخواله وقبر عبد الله والده، وعند عودتها إلى مكة أدركها الموت بين مكة والمدينة. فكفله جده عبد المطلب وكان محباً له إلى أن بلغ الثامنة من عمره فمات جده، فذاق مرارة اليتم مرة ثانية. وكان عهد به جده قبل وفاته إلى عمه أبي طالب، فقام أبو طالب بأمره وكان رفيقاً به.

وذات يوم خرج أبو طالب يريد الشام فأخذ معه محمداً وله من العمر تسع سنين. ونزل الركب بصرى[1]، وكان فيها راهب ذا علم بالنصرانية يقال له بحيرا، فصنع الطعام للركب، ولم يكن هذا من شأنه، وجعل يلحظ محمداً وينظر إلى جسده، ولما انتهى الركب من طعامه، سأل بحيرا النبي ﷺ عن أشياء من حاله في يقظته ونومه، فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته، فنبه أبا طالب على مكانته، وعلو شأنه، وطلب منه أن يرجع به إلى بلده ويَحْذَر عليه اليهود، فإنه كائن له شأن عظيم، فرجع به عمه إلى مكة[2].

---

(١) بلدة في بلاد الشام من أعمال دمشق.

(٢) انظر القصة مطولة في سيرة ابن هشام ١/ ١٨٤ ـ ١٨٨، وهي في الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣ ـ ٢٤، وتاريخ الطبري م ١ ج٢/ ١٩٥، وانظر في صحة القصة وعدم صحتها كتاب زاد المعاد لابن القيم ١/ ١٨ وتاريخ الإسلام الذهبي جزء السيرة ص ٥٧.

زواجه من خديجة رضي الله عنها

وشب رسول الله ﷺ بعيداً عن عادات العرب وأخلاقهم السيئة، ولما بلغ أربع أو خمس عشرة سنة[١]، هاجت حرب الفِجار، فساعد أعمامه في هذه الحرب برد نبل العدو عنهم، فكان أول تعرفه على الحرب.

ثم أن خديجة بنت خويلد استأجرته في تجارة لها إلى الشام، بعد أن عرفت صدق حديثه وأمانته، فخرج في مالها مع عبد لها يسمى «ميسرة». فربح، ثم عرضت عليه زواجها، فتزوجها وعمره خمساً وعشرين سنة، وكان عمرها أربعين سنة. وكانت أول نساء النبي ﷺ ورضي الله عنها، وولدت له ولده كلهم إلا إبراهيم، وهم: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة والقاسم، وبه يكنى عليه الصلاة والسلام، وعبد الله والطاهر والطيب. فأما القاسم والطاهر والطيب فماتوا صغاراً رضعاً قبل البعثة، وأما عبد الله فمات بعدها. وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن[٢].

بنيان الكعبة

في سنة خمس وثلاثين من مولده ﷺ هدمت قريش الكعبة، وأعادت بناءها، ولما وصلوا إلى الركن[٣] أرادت كل قبيلة رفع الحجر الأسود إلى موضعه، فاختصموا وتواعدوا للقتال، ثم مكثوا أربع ليال، ثم تشاوروا واتفقوا أن يكون أول داخل من باب المسجد قاضٍ بينهم، فكان أول من دخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، قد رضينا به، وأخبروه الخبر، فقال: هلم إليَّ ثوباً، فأخذ الحجر فوضعه فيه، ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده، ثم بنى عليه[٤].

---

(١) وفي تاريخ الإسلام للذهبي: «عشرين سنة» جزء السيرة ص ٦١.

(٢) انظر الكامل في التاريخ ٢/ ٢٥.

(٣) الركن: الحجر الأسود.

(٤) انظر سيرة ابن هشام ١/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام للذهبي جزء السيرة ص ٦٦، والكامل في التاريخ ٢/ ٢٧.

مبعثه ﷺ

أتم رسول الله ﷺ الأربعين من عمره، وكان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه، فكان يلتفت يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً، وكانت الأمم تتحدث بمبعثه وتخبر علماء كل أمة قومها بذلك. وكان يرى الرؤيا الصادقة التي كانت تجيىء مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، فكان يذهب إلى غار حراء فيتعبد هنالك الليالي، ثم يرجع إلى أهله فيتزود ثم يعود للعبادة.

وفجأة جاءه جبريل وهو في غار حراء في شهر رمضان فقال: اقرأ. قال: ما اقرأ؟ فضمه جبريل ضمة حتى ظن أنه الموت، ثم قال اقرأ، قال: ماذا أقرأ؟ ثم ضمه ضمة أخرى، فعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾**[1] فقرأها.

ثم عاد رسول الله ﷺ إلى خديجة وهو يرتجف فقال: زملوني زملوني[2]، فز..اوه، وروى لخديجة رضي الله عنها الخبر، فقالت: «والله لا يخزيك الله إنك لتص الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ[3]، وتعين على نوائب الحق»[4]. ثم ا.. ت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان تنصر في الجاهلية وسمع التوراة والإن.. فأخبرته الخبر، فقال: «قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت د.. تني يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة»[5] وقال للنبي ﷺ: «يا ليتني فيها جذعاً[6] حين يخرجك قومك، قال أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت أحد بما جئت به إلا عودي وأوذي، وإن يدركني يومك، أنصرك نصراً مؤزراً»[7] ثم لم يمر وقتاً طويلاً إلا توفي ورقة.

فآمنت به خديجة رضي الله عنها، ثم أسلم علي بن أبي طالب ابن عمه وهو

---

(١) سورة العلق الآيت ١ ـ ٥.
(٢) أي غطوني.
(٣) الكَل: الضعيف.
(٤) تاريخ الإسلام للذهبي جزء السيرة ص ١١٨.
(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٢.
(٦) جذعاً: شاباً.
(٧) تاريخ الإسلام للذهبي جزء السيرة ص ١١٨.

ابن عشر سنين، ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله، ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة، وكانت له منزلة في قريش. فدعى أشراف قريش إلى الإسلام وكانت الدعوة سرية، فأسلم منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فأسلموا[1].

وتلا هؤلاء في الإسلام أبو عبيدة بن الجراح، والأرقم بن أبي الأرقم، الذي اتخذت داره مركزاً للدعوة سراً ودخل في الإسلام كثير من الموالي والفقراء.

الدعوة جهراً

وبعد أن فشا الإسلام بين الرجال والنساء بمكة حتى تحدث به الناس، وبعد مرور ثلاث سنوات من الدعوة السرية، أمر الله رسوله أن يجهر بدعوته فقال تعالى: ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾[2] وقال: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾[3] صعد رسول الله ﷺ على الصفا، ونادى قريشاً، فلبى كثير منهم النداء، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني؟، قالوا: نعم، أنت عندنا غير متهم... قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد (فعدد أفخاذ قريش وقال) إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله» فقال أبو لهب: تباً ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾ السورة كلها[4].

وهنا أظهرت قريش العداوة للنبي ﷺ، وحاولوا بشتى الطرق إثناؤه عن الدعوة لعبادة الله الأحد، فعذبوا أصحابه، وأذاقوهم أنواع الأذى والتنكيل، وكانوا يؤذونه ويغرون به سفهاءهم، فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/٢٤٦ ـ ٢٥٥.

(٢) سورة الحجر آية ٩٤.

(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٤) الطبقات الكبرى ١/١٥٦ ـ ١٥٧.

والجنون، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفي به، وحاولوا مع عمه أبي طالب أن يخلي بينهم وبين النبي ﷺ فلم يفلحوا. ومضى الكفار في التفنن في إيذاء النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم حتى أعز الله الدين بإسلام عم النبي حمزة ابن عبد المطلب ثم بعد الهجرة إلى الحبشة بإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكانا من أشداء القوم.

الهجرة إلى الحبشة

ولما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من الأذى، ولم يكن لهم حولاً ولا قوةً في دفع هذا البلاء، قال لهم رسول الله ﷺ: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»، فهاجر ناس مع أهلهم، ومنهم من هاجر بنفسه، فخرجوا متسللين سراً وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وكان ذلك في السنة الخامسة من مبعثه ﷺ. وخرجت قريش في أثرهم فلم يدركوا منهم أحداً، قال المهاجرون: وقدمنا أرض الحبشة فجاورنا بها خير جار أمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه[1].

وتتابعت هجرة المسلمين إلى الحبشة حتى بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً فيهم جعفر بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون.

ثم أرسلت قريش إلى الحبشة رسولين في طلب المهاجرين لكن نجاشي الحبشة رفض تسليم المسلمين، وعرض جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي وضع العرب قبل الإسلام، ووضعهم بعد الإسلام وأثر هذا الدين الجديد فيهم، وتلى عليه شيئاً من سورة مريم، وكان النجاشي نصرانياً، فبكى حتى ابتلت لحيته، ثم قال لهم: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا ـ أي لرسولي قريش ـ فلا والله لا أسلمهم إليكما»[2].

قصة الصحيفة

ثم اجتمعت قريش في سنة سبع للبعثة[3] فكتبوا بينهم صحيفة تعاهدوا فيها

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٥٩، وسيرة ابن هشام ١/٣٣٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٤٩.

(٣) الطبقات الكبرى ١/١٦٣.

على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب فلا يناكحوهم ولا يبيعوهم أو يبتاعوا منهم، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، ودام هذا الحصار ثلاث سنوات، لا يصل شيئاً إليهم إلا سراً، حتى قام نفر من قريش من أهل المروءة وفي مقدمتهم هشام بن عمرو بن ربيعة فنقضوا الصحيفة وأرادوا تمزيقها فوجدوا أن الأرضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم» فمزقت الصحيفة.

خروج النبي ﷺ إلى الطائف

وفي السنة العاشرة من البعثة توفي أبو طالب وخديجة في عام واحد، ونال رسول الله ﷺ من أذى قريش ما لم ينل من قبل، فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، فأقام فيها عشرة أيام يدعو الناس، فلم يجيبوه، واستهزأوا به وخافوا على أولادهم فأخرجوه ﷺ من الطائف، ودفعوا سفهاءهم لأذيته، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموا رجلي رسول الله ﷺ، فجعل يدعو الله ويشكو ضعف قوته وهوانه على الناس، وطلب النصر من الله تعالى، وقفل راجعاً إلى مكة. وطلب جوار[1] مطعم بن عدي، فأجاره وحماه هو وولده حتى صلى بالكعبة.

الإسراء والمعراج

وقبل الهجرة بسنة أسري برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، وأعرج به إلى السماء، والتقى فيها ببعض الأنبياء حتى وصل إلى السماء السابعة، قال تعالى: **﴿ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى﴾** وحينها فرضت الصلوات الخمس.

فلما أصبح جمع الناس وأخبرهم الخبر، فأنكروه وكذبوه، واستهزأوا بما قال، وصدَّقه صاحبه أبو بكر فسمي الصديق.

بدء إسلام الأنصار

ولم يفتر رسول الله ﷺ عن الدعوة لدين الله، ففي موسم الحج كان يستقبل الوفود والقبائل لدعوتهم إلى الدين الإسلامي قائلاً: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا

---

(١) أي حماية.

الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة» وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابيء كاذب، فلا تستجيب له القبائل ويؤذى ويشتم، حتى أراد الله إظهار دينه ونصر نبيه وإنجاز ما وعده، فساقه إلى رهط من الخزرج، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله تعالى، وقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا لله ولرسوله فآمنوا وصدقوا[1]، وتذكروا تهديد اليهود لهم ببعث نبي قد قرب موعده، وعرفوا انه الحق، وكان عددهم ستة. فقدموا على أهلهم في يثرب يدعون إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ[2] فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه ﷺ بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على التوحيد والتعفف من السرقة ومن قتل الأولاد، والطاعة في المعروف، وبعث معهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين.

وفي موسم العام القابل خرج عدد من المسلمين من الأنصار مع حجاج قومهم من أهل الشرك، ولقوا النبي ﷺ بالعقبة وهي العقبة الثانية، وكان عددهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، وطلب رسول الله ﷺ المنعة والنصر، فبايعوه على ذلك، واختاروا منهم اثني عشر نقيباً.

الهجرة إلى المدينة

لما بايع رسول الله ﷺ الأنصار، أمر أصحابه بالهجرة إلى يثرب (المدينة) واللحوق بإخوانهم من الأنصار، ولم تكن هجرتهم سهلة، فقد وضعت قريش في وجه المهاجرين العراقيل لتمنعهم من مبتغاهم. ثم أذن رب العزة لرسوله بالهجرة، فجهز أبو بكر رضي الله عنه لتلك الرحلة الشاقة راحلتين، واستأجر عبد الله بن أريقط دليلاً للطريق.

وكان المشركون قد اتفقوا على قتل النبي ﷺ في تلك الليلة، فاجتمعوا على بابه، فأخذ النبي ﷺ حفنة من تراب فنثرها على رؤوسهم وهو يتلو قوله تعالى

---

(١) انظر الطبقات الكبرى ١/١٦٨، وسيرة ابن هشام ٢/٣٧ ـ ٣٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٤٦.

﴿يس والقرآن الحكيم﴾ إلى قوله ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾[1] فخرج ولم يره أحد منهم.

وفي بيته، وفي فراشه ﷺ، نام علي بن أبي طالب رضي الله عنه مكانه متسجياً ببردته، بعدما أعطاه رسول الله ﷺ الأمانات والودائع التي ائتمنه عليها الناس ليردها إلى أصحابها، فلما أصبحوا عرفوا أن علياً نام مكانه فخاب مكرهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين﴾[2] [3].

ونزل رسول الله ﷺ وصاحبه بغار ثور ثلاثاً، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بطعامهما مساء، وجعلت قريش مائة ناقة لمن رده عليهم، فلما مضت الثلاث، وسكن الناس عن طلبهما، انطلقا إلى يثرب.

استقباله في يثرب

علم الأنصار بخروجه ﷺ، فكانوا ينتظرونه خارج المدينة يومياً حتى تغلبهم الشمس. فلما وصل إلى يثرب تحلق المسلمون حوله، مستبشرين بقدومه وحلوله بينهم، ثم نزل على أبي أيوب الأنصاري وقام عنده سبعة أشهر[4] حتى بنى مسجده ومساكنه[5].

المؤاخاة وموادعة اليهود

لم يبق في مكة من المسلمين إلا من حبسه الكفار، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، فآخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على الحق والمؤاساة. وكتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم[6]، وبذلك

---

(١) سورة يس آية ٩.

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٣) انظر الكامل في التاريخ ٢/ ٧٢ وسيرة ابن هشام ٢/ ١٠٧.

(٤) الطبقات الكبرى ١/ ١٨٣.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٣.

(٦) انظر العهد في سيرة ابن هشام ٢/ ١٣٠.

يكون قد أوجد قانوناً يحكم جميع فئات مجتمع المدينة بين المهاجرين والأنصار واليهود.

وفي هذه الفترة شرع الله الأذان، وأسلم عبد الله بن سلام الذي كان على دين اليهود، وظهر في هذه الفترة النفاق بين الأنصار من أوس وخزرج وكان زعيمهم عبد الله بن أبي ابن سلول وإليه يجتمعون، وفي المنافقين أنزل الله أول سورة البقرة، ومنها قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**﴾[1].

الشريعة في هذه الفترة

وفي هذه الفترة صرفت القبلة إلى الكعبة وذلك في شهر شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من هجرة الرسول ﷺ، وأمر في هذه السنة بزكاة الفطر، وصلى صلاة العيد يوم الفطر، وصلى العيد يوم الأضحى، وأمر بالأضحية[2]. وفرض أيضاً في السنة الثانية صيام شهر رمضان[3].

الإذن بالحرب

بعد أن استقر رسول الله ﷺ بالمدينة، ونظم المجتمع حتى صار كل فرد يعرف حقه وحقوق الآخرين عليه، أذن الله للمسلمين بالقتال فقال تعالى: ﴿**أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير**﴾[4] وأول عمل حربي كان سرية عبد الله بن جحش، وكانت بمثابة مناوشة مع عير لقريش، وكان ذلك في رجب في السنة الثانية للهجرة، وكان قبلها غزوة ودان أو الأبواء لكن لم يحصل فيها شيء من الأعمال الحربية.

حروب النبي ﷺ

سنلخص هنا الحروب والوقائع المهمة التي حصلت في زمن رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة البقرة الآيات ٨ ـ ١٠.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ١٩١.

(٣) انظر البداية والنهاية ٣/ ٢٥٤.

(٤) سورة الحج آية ٣٩.

معركة بدر[1] :

سمع رسول الله ﷺ أن أبا سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في تجارة لقريش عظيمة، فانتدب أصحابه للإستيلاء على تلك الأموال، فخرج مسرعاً في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم فَرَسَان وسبعون بعيراً. وكان قد علمت قريش بخروج المسلمين فتحولت التجارة إلى طريق البحر، وخرج الكفار من مكة لملاقاة المسلمين وعددهم ما بين التسعمائة والألف مقاتل. ونزل الفريقان في بدر وكان ذلك في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة.

التقى الجمعان ورسول الله ﷺ يدعو ربه، وبدأ القتال بخروج ثلاثة من المسلمين لقتال ثلاثة من الكفار مبارزة، فتغلب المسلمون الثلاثة على الكفار، ودارت رحى الحرب، ونزلت الملائكة لمساندة المؤمنين، قال تعالى: **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾**[2]، وانتهت المعركة وقتل من صناديد قريش وأشرافهم بضع وسبعون رجلاً، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً،[3] وأسر المسلمون من الكفار سبعون أسيراً منهم عم النبي العباس رضي الله عنه، وكان فكاك أسر من لا مال له تعليم عشرة من المسلمين.

غزوة بني قينقاع

ونقضت يهود بني قينقاع العهد وتعدوا على امرأة من المسلمين، فحاصرهم الرسول ﷺ خمسة عشر يوماً على رأس عشرين شهراً من الهجرة[4]، وتحصن اليهود في حصونهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ بأن أجلاهم عن المدينة وخلّى سبيلهم، وصارت أموالهم وسلاحهم للمسلمين.

---

(١) معلومات المعركة ملخصة من: كتاب المغازي ١/ ١٩ ـ ١٥٢، وسيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٣ ـ ٣٤٧، والكامل في التاريخ ٢/ ٨٠ ـ ٩١، وتاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ٥٠ ـ ٨٣، البداية والنهاية ٣/ ٢٥٦ ـ ٣٢٨، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٢١ ـ ٢٢. وبدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة هو إلى المدينة أقرب.

(٢) سورة الأنفال آية ١٢.

(٣) انظر تاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٦٥، والطبقات الكبرى ٢/ ١٢ ـ ١٣.

(٤) انظر كتاب المغازي ١/ ١٧٦.

غزوة أحد[1]

جهزت قريش جيشاً للثأر من المسلمين على ما أصابهم يوم بدر وذلك من مال التجارة التي كانت مع أبي سفيان ذلك اليوم، وخرج رسول الله ﷺ في سبعمائة رجل[2] إلى أحد بعد ما كان رأيه أن يقاتلهم في المدينة، وذلك على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، وكانت قريش ثلاثة آلاف رجل معهم مائتا فرس[3].

نزل رسول الله على سفح جبل أحد جاعلاً ظهره للجبل، ووضع خمسين رام على جبل لحماية ظهور المسلمين ولإرجاع الخيل بسهامهم، وطلب منهم المكوث إلى أن يأمرهم بالنزول.

ودارت رحى الحرب الطاحنة، وقُتل حمزة رضي الله عنه عم النبي ﷺ بعدما أبلى بلاء حسناً، وظهرت الغلبة للمسلمين، وولى الكفار هاربين، ونزل الرماة عن جبلهم لجمع الغنائم، فالْتفَّت خيالة قريش خلف جيش المسلمين، وصرخ صارخ: ألا أن محمداً قد قتل، وتراجع المسلمون وكرَّ المشركون، حتى أصيب رسول الله ﷺ وشج رأسه وجرحت شفته. ثم علم المسلمون بنجاة رسول الله ﷺ، فصدوا عن الرسول وعن أنفسهم بعدما استشهد أربعة وسبعون رجلاً[4]، وكان عدد قتلى المشركين تسعة عشر رجلاً[5].

إجلاء بني النضير

خرج رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه إلى بني النضير يستعينهم في دية رجلين، فتآمروا عليه يريدون قتله، فجاءه خبر السماء بمكيدتهم فرجع إلى المدينة وأمر المسلمين بحربهم، فحاصرهم وهم في حصونهم فقطع نخلهم وأحرقها، فأرسل المنافقون إلى اليهود ليثبتوهم على موقفهم. ثم قذف الله في قلوبهم

---

(1) أحد: جبل بينه وبين المدينة قرابة ميل في شمالها، (معجم البلدان ١/ ١٠٩).

(2) انظر تاريخ الإسلام جزء المغازي ص ١٦٥.

(3) المصدر السابق ص ١٦٦.

(4) المغازي للواقدي ١/ ٣٠٠.

(5) تاريخ الإسلام جزء المغازي ص ٢٠٠.

الرعب، فسألوا النبي ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من الأموال والسلاح، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام[١] قيل كان ذلك على رأس ستة أشهر من غزوة أحد[٢].

غزوة الخندق

وكانت في شوال سنة أربع[٣] وقيل سنة خمس[٤]. وكان سببها تآمر اليهود مع كفار قريش، حيث جمعوا للمسلمين القبائل وكان عدد جيشهم عشرة آلاف مقاتل[٥]. فأشار سلمان الفارسي بحفر خندق لحماية المسلمين من عدوهم، وكان عدد مقاتلي المسلمين ثلاثة آلاف[٦]. وعظم البلاء واشتد خوف المسلمين وخيف على الذراري والنساء، قال تعالى: **﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتُلي المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً﴾**[٧] وكانت تحصل بعض المناوشات كرمي النبال. وعَبَرَ نفر من مضيق في الخندق فَقَتَلَ علي رضي الله عنه منهم رجلاً وفر الباقون، حتى أراد الله نصر المسلمين بعد شهر من الحصار بوجهين، الأول بخدعة نعيم بن مسعود الغطفاني الذي أوقع الشك في نفوس الكفار واليهود حتى باتوا لا يثقون ببعضهم بعضاً وتفرقت كلمتهم. والوجه الثاني ريح أرسلها الله تعالى في ليال شاتية شديدة البرد، فجعلت تقلب قدورهم وتطرح خيامهم، فعادت الأحزاب على أعقابهم خائبين، وهذا معنى قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها، وكان الله بما تعملون بصيراً﴾**[٨] وقال: **﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله**

---

(١) ملخصاً عن الكامل في التاريخ ٢/١١٩.

(٢) تاريخ الإسلام جزء المغازي ص ١٤٨.

(٣) المصدر السابق ص ٢٥١.

(٤) سيرة ابن هشام ٣/٢٥٣، وانظر الطبقات الكبرى ٢/ ٥٠، والمغازي ٢/٤٤١.

(٥) المغازي ٢/ ٤٤٤، والطبقات الكبرى ٢/ ٥١.

(٦) الطبقات الكبرى ١/ ٥١.

(٧) سورة الأحزاب آية ١٠ ـ ١١.

(٨) سورة الأحزاب آية ٩.

المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾[1] .

واستشهد في يوم الخندق خمسة من المسلمين وقيل ستة، وقتل رجل من المشركين وقيل ثلاثة[2] .

غزوة بني قريظة

وحصلت مباشرة بعد الخندق، وسببها نقض يهود بني قريظة العهد مع المسلمين حيث أعانوا الأحزاب في غزوة الخندق، فجاء جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ قائلاً: «إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم حصونهم[3] فحاصرهم رسول الله ﷺ خمسة عشر يوماً في ثلاثة آلاف من المسلمين، ورُموا بالنبل، حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فحكّم فيهم سعد بن معاذ، فحكم فيهم أن يقتل كل من جرت عليه المواسي، وتسبى النساء والذرية، وتقسم الأموال»، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»[4]، فقتل منهم يومئذ ما بين ستمائة إلى سبعمائة وفيهم أنزل تعالى قوله: **﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً﴾**[5] .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

ذهب عمرو بن العاص إلى الحبشة، وطالب النجاشي أن يسلمه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه، فضربه النجاشي على أنفه قائلاً: «أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله، فقال عمرو: أيها الملك أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده»[6] فأسلم عمرو وكتم إسلامه عن أصحابه.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٥.

(٢) انظر تاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٣٠٥. وسيرة ابن هشام ٣/ ٣١٢ ـ ٣١٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/ ٥٧.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٥٨.

(٥) سورة الأحزاب آية ٢٦.

(٦) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٥٣.

ثم خرج عمرو إلى رسول الله ﷺ، فلقي خالد بن الوليد وذلك قبيل فتح مكة، وسارا إلى النبي ﷺ فأسلما وبايعا.

غزوة بني المصطلق

وكانت في شعبان سنة ست للهجرة، حيث بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويريه بنت الحارث، زوج النبي ﷺ، فخرج لهم رسول الله ﷺ حتى لقيهم بالمريسيع، فاقتتلوا وهزم الله بني المصطلق[1]، وأصاب رسول الله ﷺ سبايا كثيرة فقسمها في المسلمين. وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد[2].

الحديبية

في شهر ذي القعدة من السنة السادسة، خرج رسول الله ﷺ في ألف وأربعمائة يريد العمرة لا القتال، وساق معه الهدي[3]، وبلغ المشركين خروجه، فأجمع رأيهم على صده عن المسجد الحرام. ونزل المسلمون بالحديبية، وهي على طرف الحرم على تسعة أميال من مكة[4]. وبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه يخبرهم أنه أراد زيارة البيت معظمين لحرمته، لكنهم أصروا على صده، وجعلت الرسل تختلف بين رسول الله ﷺ وبين قريش حتى أجمعوا على الصلح والموادعة، «فاصطلحا على وضع الحرب عشر سنين، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأنه من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه رده إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ويدخل علينا قابلاً في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً ...[5]». ثم نحر رسول

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٣٦٩.

(٢) البداية والنهاية٤/ ١٥٦.

(٣) انظر البداية والنهاية ٤/ ١٦٤ ـ ١٦٥، والطبقات الكبرى ٢/ ٧٣، والكامل في التاريخ ٢/ ١٣٥، وتاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٣٦٥.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/ ٧٣.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٧٤.

الله ﷺ هديه ونحر أصحابه، ثم انصرف إلى المدينة.

دعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام

وفي آخر السنة السادسة بعث رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء رسلاً يدعوهم للإسلام، فأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بمصر، وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وأرسل دحية الكلبي إلى قيصر الروم، وبعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى فارس، وأرسل عمرو بن أمية الضمري إلى نجاشي الحبشة، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أخي عبد القيس والي البحرين. فأما المقوقس فإنه قبل كتاب النبي ﷺ وأهدى إليه أربع جوار، منهن مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ. وأما قيصر وهو هرقل فإنه قبل كتاب رسول الله ﷺ وقال لدحية: إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، ولكني أخاف الروم على نفسي. وأما الحارث فرفض الكتاب. وأما النجاشي فآمن وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب. وأما كسرى فمزق الكتاب، فقال رسول الله ﷺ: «مزق الله ملكه». وأما المنذر بن ساوى فأسلم وأسلم جميع العرب بالبحرين. وقيل كان إرسال الرسل في السنة الثامنة[1].

غزوة خيبر

وحصلت في المحرم سنة سبع من الهجرة، حيث سار رسول الله ﷺ إلى خيبر وكانت بلدة يهودية وقاعدة حربية لهم في ألف وأربعمائة رجل معهم مائتا فارس، فحاصر المسلمون حصونهم ونزلوا بساحتهم فلم يتحركوا تلك الليلة، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «الله أكبر خربت خيبر! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»[2] وحاصرهم حتى فتح حصونهم حصناً حصناً، وسبى الذراري وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ثم صارت إلى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها[3].

وأهدت امرأة النبي ﷺ شاة مسمومة، فمضغ منها رسول الله ﷺ مضغة فلم

---

(١) انظر الكامل في التاريخ ٢/ ١٤٣ ـ ١٤٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/ ٨١.

(٣) انظر البداية والنهاية ٤/ ١٨٤.

يسغها، فدعا المرأة فاعترفت، ومات من السم بشر بن البراء[1].

عمرة القضاء

لما عاد رسول الله ﷺ من خيبر أقام بالمدينة جمادين ورجب وشعبان ورمضان وشوالاً يبعث السرايا، ثم خرج في ذي الحجة معتمراً عمرة القضاء، وساق معه سبعين بدنة، وخرج معه من المسلمين من كان معه في عمرته الأولى. فلما وصل إلى مكة، خرج أهلها وتركوها للمسلمين ثلاثة أيام. وتزوج النبي ﷺ في سفره هذا بميمونة بنت الحارث، ثم انصرف إلى المدينة.

غزوة مؤتة

في سنة ثمان جهز رسول الله ﷺ ثلاثة آلاف من المقاتلين وأمّر عليهم زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، وأرسلهم لغزو الروم. فساروا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغهم أن هرقل خرج بمائتي ألف من المقاتلين، فتهيبوا ذلك أولاً ثم ساروا إليهم إلى مؤتة، فتطاحن الفريقان، واستشهد زيد فأخذ الراية جعفر ثم استشهد، فأخذ الراية عبد الله ثم استشهد، فاصطلحوا على خالد بن الوليد فأخذ الراية ودافع القوم، ثم عاد بالناس إلى المدينة[1].

فتح مكة

وكان من سببها أن بني بكر كانوا في عقد قريش وعهدهم، وخزاعة في عقد المسلمين وعهدهم، وكان بينهما عداء قديم، فقتل بنو بكر رجالاً من خزاعة واشتعلت بينهما الحرب، وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بسلاح ودواب وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين، فكان ذلك نقضاً للعهد الذي بين محمد رسول الله ﷺ وبين قريش. وقدم أبو سفيان إلى المدينة ليجدد العهد مع المسلمين، فأبى عليه النبي ﷺ، ثم تجهز المسلمون وكان ذلك في رمضان سنة ثمان للهجرة،

---

(١) الكامل في التاريخ.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ ٢/ ١٥٨، والطبقات الكبرى ٢/ ٩٧، والمغازي ٢/ ٧٥٥، وسيرة ابن هشام ٣/ ٥٠، وتاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٤٧٩.

ودعى رسول الله ﷺ قائلا: «اللهم خذ على أبصارهم فلا يروني إلا بغتة»[1] وكان عدد المسلمين عشرة آلاف وقيل اثني عشر ألفاً[2].

ولما وصل النبي ﷺ إلى جبال مكة، أشعل المسلمون النار. وهابت قريش المنظر، وأتى أبو سفيان النبي ﷺ مع عمه العباس الذي كان قد أسلم، فأسلم أبو سفيان، ثم قال رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»[3]. ثم دخل رسول الله ﷺ مع المسلمين مكة، فلما اطمأن طاف بالبيت سبعاً على راحلته، ثم قام على باب الكعبة فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قَدَمَي هاتين، إلا سدانة البيت، وسقاية الحجاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه دية مغلظة: مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظيمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**[4] ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[5] وهدمت الأصنام حتى ما بقي منها صنم واحد. ولم يجر قتال أثناء فتح مكة، إلا ما حصل من الجهة التي دخل منها خالد بن الوليد.

غزوة حنين[6]

وتسمى غزوة هوازن ووقعت في شوال سنة ثمان للهجرة، وسببها اتفاق قبيلتي هوازن وثقيف على المسلمين بعد فتح مكة، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ١٠٢.

(٢) انظر الكامل في التاريخ ٢/ ١٦٥، وتاريخ الإسلام جزء المغازي ص ٥٢٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٧.

(٤) سورة الحجرات آية ١٣.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٤١.

(٦) حنين: واد بينه وبين مكة ثلاث ليال (الطبقات الكبرى ٢/ ١١٤).

اثني عشر ألفاً من المسلمين، وساق الكفار معهم أموالهم ونساءهم وأولادهم، فالتقى الجيشان بحنين، وبدأت المعركة فانكشف المسلمون وثبت رسول الله ﷺ في بضع من أصحابه وأمر العباس بأن ينادي: «يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة» فأقبلوا ملبين، فحملوا على المشركين فقال رسول الله ﷺ: «الآن حمي الوطيس! أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»[1]، وتناول رسول الله ﷺ حصيات وقال: «شاهت الوجوه» ورمى بها وجوه المشركين، فقذف الله في قلوبهم الرعب، فانهزموا لا يلوي أحد منهم على أحد، وتبعهم المسلمون يقتلونهم، فقتل منهم يومئذ سبعون رجلاً[2]، واستشهد من المسلمين أربعة رجال[3].

وحنين هي آخر غزوات العرب، وبعدها عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة.

غزوة تبوك

وفي رجب من السنة التاسعة، تهيأ المسلمون لغزو الروم، وسبب ذلك أن الروم جمعوا الجموع لغزو المسلمين، وكان ذلك في زمان من عسرة الناس، وشدة الحر، وجدب البلاد[4]. فسار رسول الله ﷺ في ثلاثين ألفاً من الناس[5]، وتخلف عنه المنافقون، وهنا أرسل النبي ﷺ أربعمائة وعشرين مقاتلاً عليهم خالد بن الوليد إلى أكيدر ملك كندة وكان نصرانياً، فأسر أكيدر وفتح دومة الجندل، وكتب رسول الله ﷺ إلى أكيدر كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه، وعاد رسول الله ﷺ من تبوك لم يلق حرباً إلى المدينة في شهر رمضان من السنة التاسعة وقال: «الحمد لله على ما رزقنا في سفرنا هذا من أجر وحسبة»[6].

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ١١٥.

(٢) انظر الكامل في التاريخ ١/ ١٧٩.

(٣) انظر سيرة ابن هشام ٤/ ١١٥.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ١٩٦.

(٥) انظر الطبقات الكبرى ٢/ ١٢٥، وتاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٣٦١.

(٦) الطبقات الكبرى ٢/ ١٢٥.

وفود العرب

وفي آخر السنة التاسعة بدأت وفود العرب تزحف لمبايعة رسول الله ﷺ والدخول في الإسلام، بعد أن عرفوا فضل هذا الدين. من هذه الوفود: وفد بني تميم، وفد بني عامر، وافد بني سعد بن بكر[1]، وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب الذي أسلم ثم ارتد، وفد بني طيىء، وفد بني زبيد، وفد كندة، وفد الأزد، وفد بني أسد، وفد بلى وغيرهم وسميت السنة التاسعة بعام الوفود.

وفي أوائل السنة العاشرة أرسل رسول الله ﷺ رسله إلى الأمصار للدعوة ولجمع الزكاة، من ذلك أنه أرسل خالداً إلى اليمن للدعوة، ثم أرسل معاذاً إلى اليمن لجمع الزكاة[2].

حجة الوداع

في السنة التاسعة للهجرة أمَّر رسول الله ﷺ على الحج أبا بكر الصديق في ثلاثمائة رجل من المدينة.

وفي ذي القعدة من السنة العاشرة خرج رسول الله ﷺ بالناس يريد الحج، فحج بالناس وأراهم مناسكهم، وعلمهم سنن حجهم، وخطب خطبته المشهورة[3].

سرية أسامة ووفاة النبي ﷺ

وفي آخر صفر من سنة إحدى عشرة من الهجرة أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم، وعقد اللواء بنفسه لاسامة بن زيد بن حارثة وكان صغيراً، وتهيأ الناس وكبار الصحابة، ويوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول جاء المسلمون لوداع الرسول ﷺ، وثَقُلَ رسول الله ﷺ وهو يقول: «انفذوا بعث اسامة» فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله ﷺ وجعه، وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الأول دخل

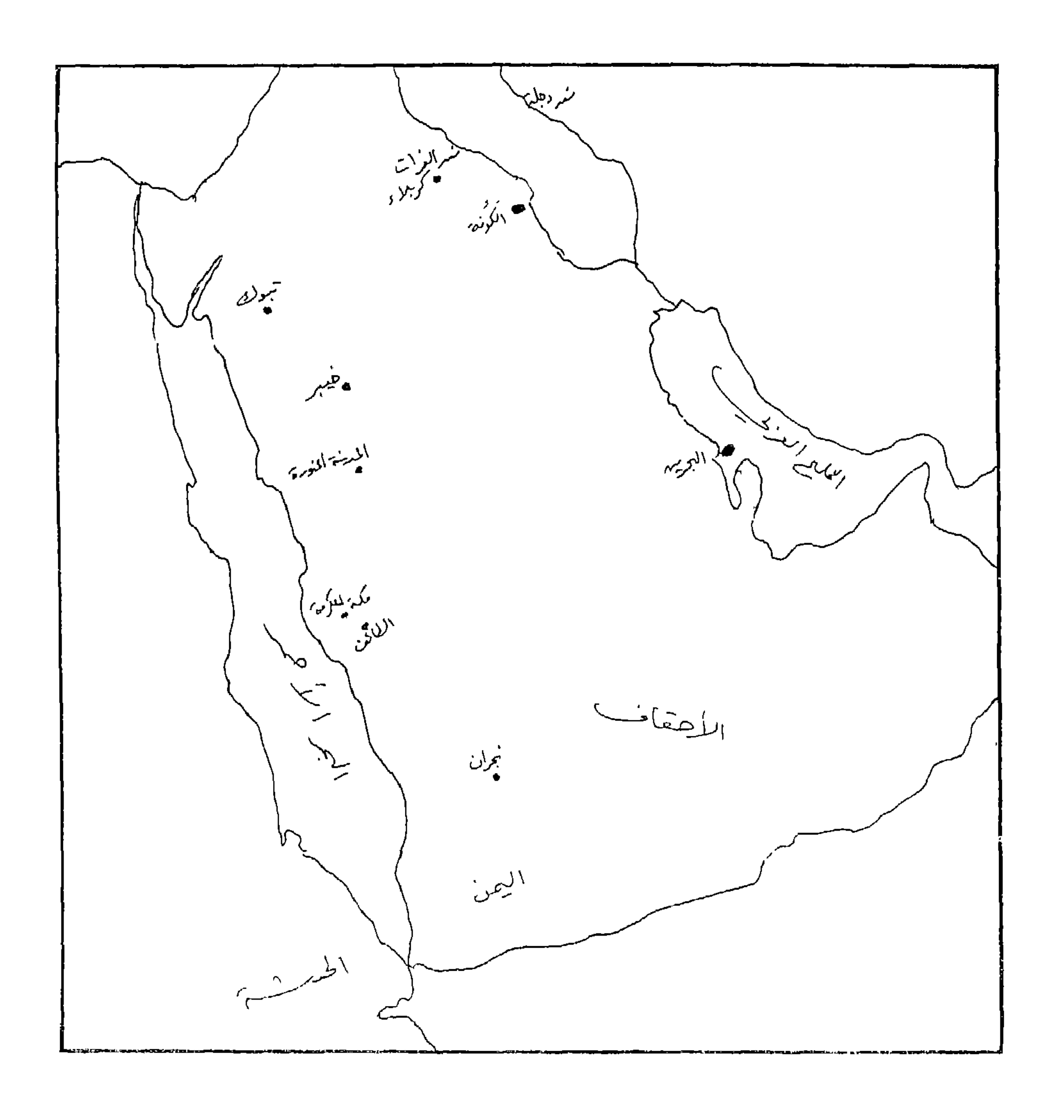
---

(١) ضمام بن ثعلبة، تاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٦٨٠.

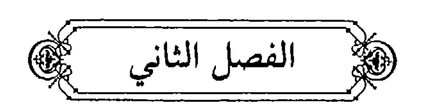
(٢) انظر تفصيل ذلك في الكامل ٢/ ٢٠٥، وسيرة ابن هشام ٤/ ٣٤٧.

(٣) انظر الخطبة في سيرة ابن هشام ٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٦. وتاريخ الإسلام للذهبي جزء المغازي ص ٧٠٩. وتاريخ الطبري ٣/ ١٦٨ ـ ١٦٩.

أسامة على رسول الله ﷺ يودعه، فدعا له رسول الله ﷺ قائلاً: «أغد على بركة الله» وأمر الناس بالرحيل، فبينما هم يتحضرون للرحيل إذا برسول يقول: «إن رسول الله يموت. فتوفي رسول الله ﷺ حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول[1].

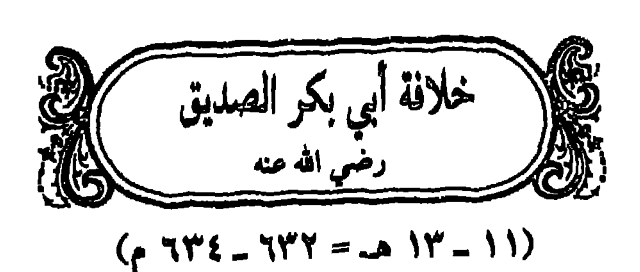


(١) ملخصاً عن الطبقات الكبرى ٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦.



الفصل الثاني

الخلفاء الراشدون



(١١ ـ ١٣ هـ = ٦٣٢ ـ ٦٣٤ م)

نسبه وحياته

هو عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التميمي أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ابنة عم أبيه[١]، يلتقي نسبه مع نسب الرسول ﷺ في مرة بن كعب.

ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وهو أول من أسلم من الرجال، وسمي بالصديق لتصديق رسول الله ﷺ وخاصة صبيحة الإسراء والمعراج. «كان من سراة مكة في الجاهلية، عالماً بأنساب العرب وأخبارهم. وكان بزازاً يتاجر في الثياب... وسرعان ما ترك التجارة بعد إسلامه ليتفرغ إلى الدعوة الإسلامية مع رسول الله ﷺ فأسلم بدعوته كثير من العرب الذين اعتز بهم الإسلام»[٢]. وكان ملازماً للرسول ﷺ وصاحبه في الجاهلية والإسلام، وصاحبه في الهجرة، قال فيه رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلاً»[٣].

البيعة بالخلافة

توفي رسول الله ﷺ ولم يوصِ بالخلافة لأحد، إلا أنه عهد بالصلاة في

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٣٤١.

(٢) تاريخ الإسلام، د. حسن إبراهيم حسن، ١/ ٢٠٣.

(٣) أخرج الحديث البخاري في كتاب الصلاة باب ٨٠. وكتاب مناقب الأنصار باب ٤٥، ومسلم في كتاب المساجد حديث رقم ٢٨، وكتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢ ـ ٧، وأخرجه أيضاً الترمذي وابن ماجة والدارمي وأحمد.

الناس لأبي بكر، فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، واتفقوا جميعاً على مبايعة أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً، فبايعوه وبايعه الناس في المسجد وبايعه علي رضي الله عنه، وقيل تأخر عن مبايعته إلى وفاة فاطمة رضي الله عنها[1].

ثم قام أبو بكر رضي الله عنه خطيباً فقال: «أما بعد، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»[2] ثم أمر بتجهيز النبي ﷺ ودفنه، وكان ذلك في يوم الثلاثاء.

أزواجه وأولاده

تزوج في الجاهلية **قتيلة بنت عبد العزى** بن عامر، فولدت له عبدالله وأسماء. وتزوج أيضاً في الجاهلية **أم رومان** واسمها دعد بنت عامر الكنانية فولدت له عبد الرحمن وعائشة. وتزوج في الإسلام **أسماء بنت عميس**، وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب فولدت له محمد بن أبي بكر. وتزوج أيضاً في الإسلام **حبيبة بنت خارجة** بن زيد الأنصارية فولدت له بعد وفاته أم كلثوم[3].

أعماله في خلافته

جيش أسامة

أول أمر قام به أبو بكر رضي الله عنه انفاذ جيش أسامة بن زيد على أمر من رسول الله ﷺ، فسار وأوقع بقبائل من قضاعة التي ارتدت وغنم وعاد.

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٠ ـ ٢١١، والكامل في التاريخ ٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣.
(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٥٧.
(٣) الكامل ٢/ ٢٨٩.

حروب الردة

ارتدت طوائف كثيراً من العرب عن الإسلام حينما علموا بوفاة النبي ﷺ ومنعوا الزكاة، فنهض أبو بكر والمسلمون لقتالهم فجرت الوقعات التالية:

الأسود العنسي[1]: أول ردة في الإسلام كانت على عهد رسول الله ﷺ، وكان مشعوذاً يريهم الأعاجيب ويسبي قلوب من يستمع منطقه، قتله فيروز الديلمي بالاتفاق مع زوجة العنسي المسلمة[2].

طليحة الأسدي: ادعى النبوة في حياة النبي ﷺ، وكثر أتباعه بعد وفاة النبي ﷺ، سار إليه خالد بن الوليد في ثلاثة آلاف رجل فهزم جيش طليحة ثم أسلم وأهلَّ بعمرة[3].

مسيلمة الكذاب: ارتدت بنو حنيفة واتبعوا مسيلمة الكذاب، فسار إليهم خالد بن الوليد فالتقى بهم في عقرباء[3] ومعه شرحبيل بن حسنة وعكرمة بن أبي جهل، فهزمهم وقتل منهم ناساً كثيرين، ورمى وحشي بن حرب حربته فأصابت مسيلمة، وسارع إليه أبو دجانة فقتله[5].

سجاح بنت الحارث: ادعت النبوة، وعزمت على قتال أبي بكر رضي الله عنه، وتزوجت مسيلمة الكذاب، ثم انسحبت إلى أرض الجزيرة إلى أن اجلاها معاوية رضي الله عنه عام الجماعة[6].

وبانسحاب سجاح، وهروب طليحة وقتل مسيلمة تكون قد خفتت أخطر دعوات الردة في الجزيرة العربية.

أهل البحرين: ارتد أهل البحرين، وملكوا عليهم المنذر بن النعمان بن

---

(١) اسمه عيهلة بن كعب بن عوف العنسي.

(٢) انظر تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ص ١٨ ـ ١٩، والبداية والنهاية ٦/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩، والكامل ٣/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٣) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٩ ـ ٣٠، والكامل ٣/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٤) عقرباء: منزل من أرض اليمامة قريب من قرقرى (معجم البلدان ٤/ ١٣٥).

(٥) انظر البداية والنهاية ٦/ ٣٢٥.

(٦) المصدر السابق ٦/ ٣٢١ ـ ٣٢٣.

المنذر، فبعث إليهم أبو بكر: العلاء بن الحضرمي فالتقى بجيش البحرين ليلاً وهم سكارى وعليهم ثمامة بن أثال، فقتلوهم قتلاً عظيماً[1].

أهل عُمان: في عمان ادعى النبوة لقيط بن مالك الأزدي، فأرسل إليه أبو بكر حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة ولحق بهما عكرمة بن أبي جهل، وكاد المسلمون أن ينهزموا حتى جاء المدد من بني ناجية وعبد القيس فقتلوا من المرتدين عشرة آلاف مقاتل وسبوا الذراري[2].

اليمن: ارتد من أهل اليمن قيس بن عبد يغوث بن مكشوح وتابعه عمرو بن معدي كرب، وحاولا قتل أمراء المسلمين الثلاثة في اليمن، فسار إليهم المهاجر بن أبي أمية ومعه عكرمة بن أبي جهل، فهزماهما، ثم أسلما وتابا.

الفتوحات الإسلامية
فتوحات العراق

وقعة ذات السلاسل

توجه خالد بن الوليد ومعه ثمانية عشر ألف مقاتل إلى العراق، فالتقى بجيش الفرس وعليهم هرمز بكاظمة، واقترن الفرس بالسلاسل لئلا يفروا، فقتل هرمز وانهزم أهل فارس[3].

وقعة الثني

نزل المنهزمون من أهل فارس بالثني، وأمدهم أردشير ملك الفرس بجيش عليهم قارن بن قريانس، وذلك في صفر سنة ١٢ هـ، فلقيهم خالد فقتل قائدهم وثلاثين ألفاً سوى من غرق، وكان في السبي عالم البصرة أبو الحسن البصري، وكان نصرانياً[4].

---

(١) المصدر السابق ٦/ ٣٢٧ ـ ٣٢٩.

(٢) انظر الكامل ٣/ ٣٠٢، والبداية والنهاية ٦/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠، وتاريخ الطبري ٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٣) الكامل ٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣، والبداية والنهاية ٦/ ٣٤٤، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٧٩.

(٤) الكامل ٢/ ٢٦٣.

وقعة الولجة

علم أردشير بالهزيمة، فأرسل جيشاً عليه الأندر زغر ثم أمده ببهمن جاذويه فعسكروا بالولجة، فسار إليهم خالد وقاتلهم قتالاً شديداً في صفر أيضاً، فانهزم أهل فارس وقتل منهم خلقاً عظيماً، ومات الأندر عطشاً، وصار الفلاحون ذمة[1].

وقعة أليس

اجتمع الفرس مع نصارى بكر بن وائل على «أليس» في صفر أيضاً، فجاءهم خالد بن الوليد بجمع من المسلمين، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت فارس، وقتل منهم سبعين ألفاً[2].

فتح الحيرة

سار خالد إلى الحيرة، وحمل الرجال والأثقال في السفن، فخرج إليه مرزبان الحيرة «الأزاذبة»، وأرسل إبنه فقطع الماء عن السفن، فبقيت على الأرض، فساروا على صهوات الخيول، فلقي خالد ابن الأزاذبة على فرات بادقلى فقتله وقتل أصحابه، وهرب مرزبان الحيرة، ثم قاتل خالد أهل الحيرة حتى رضوا بالصلح، فصالحهم خالد على الجزية فقدرت بمائة وتسعين ألف درهم، وكان فتحها في شهر ربيع الأول[3].

ثم خرج الدهاقين فصالحوا خالد بن الوليد على ما بعد الحيرة في الفلاليج على جزية معلومة.

فتح الأنبار

سار خالد من الحيرة إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس، وعلى جيش الأنبار شيرزاد، وبدأ المسلمون القتال، فطلب شيرزاد الصلح، فصالحه خالد على شروط.

---

(١) الكامل ٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤، وتاريخ ٤/ ٨ ـ ٩.

(٢) الكامل ٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥، والطبري ٤/ ٩ ـ ١٠، وابن خلدون، ٢/ ٨٠.

(٣) الكامل ٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٧، وتاريخ الطبري ٤/ ١٣ ـ ١٥.

فتح عين التمر

سار خالد إلى عين التمر وبها مهران بن بهرام في جمع عظيم من الفرس، وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب وإياد وغيرهم، فترك مهران العرب يقاتلون خالداً فهزمهم خالد وأسر عقة، وهرب مهران[1].

دومة الجندل

سار خالد إلى دومة الجندل، فاجتمعت القبائل العربية لحربه، فقتل منهم كثيراً وأسر الجودي بن ربيعة رئيسهم، وهرب فلهم إلى الحصن، فاقتحمه خالد وقتل المقاتلة وسبى الذرية[2].

وقعة الفراض

سار خالد إلى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، في الخامس عشرة من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة، وقامت الروم للدفاع عن تخومها واستعانوا بمن يليهم من الفرس والعرب، وساروا إلى خالد وعبروا الفرات فقاتلوا قتالاً عظيماً، وانهزمت الروم ومن معهم وقتل المسلمون منهم مائة ألف.

فتوح الشام

دخلت سنة ثلاث عشرة، وفيها وجه أبو بكر رضي الله عنها الجنود إلى الشام بعد عوده من الحج وعليهم خالد بن سعيد بن العاص، وكان له أول حرب مع أحد بطارقة الروم ويدعى باهان، فهزمه وكتب خالد إلى أبي بكر يستمده فجهز أبو بكر أربعة جيوش على أحدها عمرو بن العاص ووجهه إلى فلسطين، وعلى ثانيها شرحبيل بن حسنة ووجهه إلى الأردن، وعلى الثالث يزيد بن أبي سفيان وجهه إلى البلقاء، وعلى الرابع أبي عبيدة بن الجراح ووجهه إلى حمص، فسارت الأمراء وأبو بكر يودعهم ويوصيهم بما فيه صلاح دينهم ودنياهم وأمر حربهم.

فلما علم الروم بذلك اجتمعت جيوشهم بحمص، ووجه هرقل عسكره بإزاء جيوش المسلمين كما سيأتي[3].

---

(١) عن البداية والنهاية ٢٤٩ ـ ٣٥٠، والكامل ٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨١.

(٢) الكامل ٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١، والبداية ٦/ ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٣) انظر الكامل ٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٣ ـ ٨٥، وتاريخ الطبري ٤/ ٣٠ ـ ٣٢.

معركة اليرموك

اجتمع المسلمون باليرموك، والروم أيضاً بإزائهم، فأقاموا ثلاثة أشهر، واستمد المسلمون أبا بكر، فكتب إلى خالد أن يلحق بهم من العراق، فأعان الله خالداً فاجتاز الصحراء ووصل إلى المسلمين في ربيع الآخر. فصار عدد المسلمين ستة وثلاثين ألفاً، وعدد الروم مائتي وأربعين ألف مقاتل. وبدأ القتال وكان في اليوم الأول على إمارة المسلمين خالد بن الوليد، والتحم الجيشان، وحمل المسلمون حملة رجل واحد ففر العدو ووقعوا في الخندق لأنهم كانوا قد ربطوا أنفسهم بالسلاسل. وأثناء المعركة جاء البريد من المدينة بوفاة أبي بكر رضي الله عنه، وتأمير أبي عبيدة بن الجراح لقيادة الجند جميعاً[١].

وفاة الصديق

كانت وفاة أبي بكر رضي الله عنه لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة ليلة الثلاثاء، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وصلى عليه عمر بن الخطاب، ودفن بجانب قبر النبي ﷺ[٢].

الأمور الشرعية في عهده

جمع القرآن

من أهم الأعمال في الأمور الشرعية التي قام بها الخليفة الأول هو جمع القرآن، فبعد أن كثر القتل يوم اليمامة بقراء القرآن، خشي عمر بن الخطاب على القراء أن يشتد بهم القتل في الغزوات، فأشار على أبي بكر بجمع القرآن، وألحَّ عليه الطلب، فانشرح صدر أبي بكر لرأي عمر، وأمر أحد كتاب الوحي وهو زيد بن ثابت، فجمعه مما كتبه الصحابة وكتاب الوحي من جريد النخل، وما كتب منه على الحجارة، وقارنه بما حفظ الحفاظ والقراء الكبار في صدورهم، وكتبه في

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٤ ـ ٨٥، وتاريخ الطبري ٤/ ٣٢ ـ ٤٢، والكامل في التاريخ ٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) انظر الكامل ٢/ ٢٨٧.

صحف وأودع عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين حتى عهد عثمان.

التشريع في عهده

وفي عهد أبي بكر كان إذا وقعت الحادثة، نظر الصحابة في كتاب الله فإن لم يجدوا حكمها التمسوا ذلك في أحاديث الرسول، فإن لم يجدوا جمع الخليفة كبار الصحابة وحفاظهم ومحدثيهم فيشاورهم في الأمر، ويؤيد ذلك ما نقله ابن القيم قوله: «كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى، فإن وجد فيه ما يقضي به، قضى به، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله ﷺ، فإن وجد فيهما ما يقضي به قضى به، فإن أعياه ذلك سأل الناس: هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى به بقضاء؟ فربما قام إليه القوم فيقولون: قضى فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سنها النبي ﷺ جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به»[1].

القتال على منع الزكاة

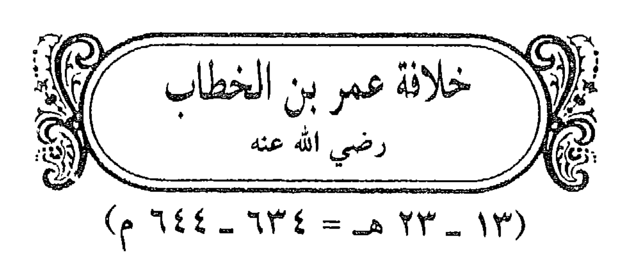
من المسائل المهمة التي عرضت للخليفة الأول هي: حكم من منع الزكاة، حيث رأى الخليفة أن يقاتل عليها، وقاسها على الصلاة التي هي أيضاً أحد أركان الإسلام، علماً أن عمر كان يرى عدم قتالهم، ثم رأى رأي أبي بكر الصديق.

أهم الوفيات في عهده

أهم من توفي بعهده رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله ﷺ زوجة علي بن أبي طالب وأم الحسن والحسين. توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر. وممن توفي في عهده أيضاً أبو دجانة سماك بن خرشة الذي أبلى بلاء حسناً في أحد، وأعطاه رسول الله ﷺ سيفه. وفي سنة اثنتي عشرة توفي أبو العاص بن الربيع زوج أكبر بنات رسول ﷺ زينب رضي الله عنها.

---

(١) نقله ابن القيم في إعلام الموقعين عن أبي عبيدة معمر بن المثنى البصري(١/ ٦٣).



خلافة عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

(١٣ ـ ٢٣ هـ = ٦٣٤ ـ ٦٤٤ م)

نسبه وحياته

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح القرشي العدوي أبو حفص، أمير المؤمنين. وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية. ولد قبل مبعث الرسول ﷺ بثلاثين سنة. كان إليه السفارة في الجاهلية، وكان عند المبعث شديداً على المسلمين، ولما أسلم كان إسلامه فتحاً على المؤمنين وفرجاً لهم من الضيق. قال عبد الله بن مسعود ما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر[1].

أزواجه وأولاده

كان لعمر من الولد عبد الله وعبد الرحمن وحفصة وأمهم **زينب بنت مظعون**. وله زيد الأكبر ورقية وأمهما **أم كلثوم بنت علي** بنت أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وله زيد الأصغر وعبيد الله وأمهما **أم كلثوم بنت جرول** بن مالك، وكان الإسلام فرق بين عمر وبين أم كلثوم بنت جرول. وله عاصم وأمه **جميلة بنت ثابت**. وله عبد الرحمن الأوسط يكنى بأبي المجبر وأمه **لهية** أم ولد. وله عبد الرحمن الأصغر وأمه أم ولد. وله فاطمة وأمها **أم حكيم بنت الحارث**. وله زينب وهي أصغر ولد عمر وأمها **فكيهة** أم ولد. وله عياض وأمه **عاتكة بنت زيد**[2].

---

(١) انظر الإصابة ٢/٥١٨، والطبقات الكبرى ٣/ ٢٠١.

(٢) نقلاً عن الطبقات الكبرى ٣/ ٢٠١.

توليه الخلافة

كان آخر عمل قام به أبو بكر الصديق رضي الله عنه مشورته بعض الصحابة في تولية عمر الخلافة، فاستشار عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، فكل اشار بخير، ثم طلب من عثمان أن يكتب العهد إلى عمر، ثم طلب أن يقرأ على الناس وهو مشرف عليهم، فقال أبو بكر «أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر، فاسمعوا له وأطيعوا، فإني والله ما آلوت من جهد الرأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا. ثم قال أبو بكر لعمر: «يا عمر، إن لله حقاً بالليل لا يقبله في النهار، وحقاً في النهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، ألم تر يا عمر، إنما ثقلت موازينهم يوم القيامة بإتباعهم الحق وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا حق أن يكون ثقيلاً، ألم تر يا عمر، إنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل، وخفته عليهم. وحق لميزان أن لا يوضع فيه إلا باطل أن يكون خفيفاً. ألم تر يا عمر. إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه، ألم تر يا عمر، إنما ذكر الله أهل النار بأسوإ أعمالهم. فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو أن لا أكون منهم. وإنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، لأنه تجاوز لهم عما كان من سيء، فإذا ذكرتهم قلت: أين عملي من أعمالهم؟ فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه»[١].

وتوفي أبو بكر، فلما دفن[٢] صعد عمر بن الخطاب فخطب الناس قائلاً: إنما مثل العرب مثل جمل آنف[٣]، اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده. وأماأنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق.

وكان أول كتاب كتبه إلى أبي عبيدة بن الجراح بعزل خالد بن الوليد، ثم قدم

---

(١) نقلاً عن الكامل ٢/ ٢٩٣.

(٢) دفن ليلة وفاته، انظر تاريخ الطبري ٤/ ٥٤.

(٣) آنف: هو الذي يأنف من أن يضرب.

خالد على عمر بالمدينة، وقيل بل أقام بالشام مع المسلمين وهو أصح[1].

الحوادث في عهده
بقية الحديث عن فتوح الشام

فتح دمشق

بعد اليرموك سار أبو عبيدة بن الجراح ومعه خالد إلى دمشق، وعليها نسطاس، فحاصرهم المسلمون سبعين ليلة حصاراً شديداً، حتى ولد للبطريق مولوداً، فأقاموا وليمة وشرب الجند الخمر وتركوا مواقعهم، فنهض خالد ومعه القعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي فتسلقوا الحصن وفتحوا الباب، ودخل المسلمون الحصن فخاف الروم وطلبوا الصلح، فصالحهم أبو عبيدة، وكان ذلك في رجب سنة أربع عشرة[2].

غزوة فحل

ثم سار أبو عبيدة إلى فحل[3]، ومعه شرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وكان أهل فحل قد تركوا الماء حول المدينة فأوحلت أرضها، فخرج الروم وقاتلوا جيش شرحبيل بن حسنة قتالاً شديداً، فانهزم الروم وعلقوا بالوحل[4].

فتح ساحل الشام

لما سار أبو عبيدة إلى فحل، سار يزيد بن أبي سفيان إلى مدينة صيدا وعرقة[5] وجبيل وبيروت، وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً.

---

(١) عن الكامل ٢/ ٢٩٣.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٥٧ ـ ٥٨، والكامل ٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٦ ـ ٨٧، وفتوح البلدان ١/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٣) فِحل: اسم موضع بالشام.

(٤) الكامل ٢/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦.

(٥) عِرقة: بلدة شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ (معجم البلدان ٤/ ١٠٩).

فتح بَيْسان وطبرية

أرسل أبو عبيدة شرحبيل بن حسنة في جيش إلى بيسان[1] فقاتلوا أهلها فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثم صالحهم من بقي.

وأرسل أبو عبيدة الأعور إلى طبرية يحاصرها، فصالحه أهلها، وأن يقتسموا منازلهم مع المسلمين[2].

فتح بيت المقدس

في سنة خمس عشرة فتح عمرو بن العاص غزة ثم سَبَسْطية[3] ثم نابلس ثم اللد وعمواس وبيت جبرين ويافا ثم فتح مرج العيون، ثم حاصر بيت المقدس، فطلب أهلها الصلح، وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب، فقدم عمر وصالحهم على الجزية[4].

حمص وحماه

سار أبو عبيدة وخالد إلى حمص، فمروا ببعلبك ففتحوها، وحاصروا حمص فطالب أهلها بالصلح، فأجابهم أبو عبيدة لذلك. ثم سار قاصداً حماه فتلقاه أهلها مذعنين، فصالحهم على الجزية والخراج، ثم سار إلى اللاذقية فصالح أهلها.

وفي السنة السابعة عشر قصد الروم أبا عبيدة بحمص، فتحصن المسلمون وجاءهم خالد من قنسرين، وأمر عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص أن يرسل القعقاع لنجدة المسلمين في الشام، وخرج عمر من المدينة فأتى الجابية يريد حمص، وخرج أبو عبيدة للروم فقاتلهم ففتح الله عليهم وقدم القعقاع بعد الوقعة بثلاثة أيام[5].

---

(١) بَيْسان: مدينة بالأردن، وهي بين حوران فلسطين (معجم البلدان ١/ ٥٢٧).

(٢) انظر الطبري ٤/ ٦، والكامل ٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٣) سبسطية: بلدة من نواحي فلسطين بينهما وبين بيت المقدس يومان، فيها قبر زكريا ويحيى عليهما السلام، وهي من أعمال نابلس (معجم البلدان ٣/ ١٨٤).

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٥) الكامل ٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٢، والطبري ٤/ ١٩٥ ـ ١٩٦.

فتح حلب

سار أبو عبيدة إلى حلب، فجمع أصنافاً من العرب فصالحهم على الجزية، ثم أسلموا بعد ذلك، ثم أتى حلب، فتحصن أهلها، ثم طلبوا الأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم فأجيبوا[1].

فتح انطاكية

ثم سار أبو عبيدة إلى أنطاكية فتحصن أهلها، ثم صالحهم أبو عبيدة على الجلاء أو الجزية، فجلا بعضهم وأقام بعضهم. ورتب أبو عبيدة في أنطاكية بعض المرابطين على أمر من عمر رضي الله عنه[2].

فتح أرمينية

وفي السنة الثامنة عشر للنصف من شعبان سير أبو عبيدة قبل وفاته عياض بن غنم إلى الجزيرة، فأتى على الرقة فحصرها ثم صالح أهلها، ثم سار إلى حران وجعل عليها عسكراً يحصرونها، وسار هو إلى الرها فحصر أهلها ثم صالحهم، وعاد إلى حران فصالح أهلها، ثم فتح سميساط وصالح أهل سروج ورأس كيفا. ثم أتى قريات على الفرات وهي جسر منبج ففتحها، ثم فتح تل موزن سنة تسع عشرة، ثم صالح أهل آمد، ثم فتح ميافارقين ثم صالح أهل نصيبين، وتوالت عليه الفتوحات حتى فتح كل أرمينية[3].

فتوحات العراق

توفي الصديق رضي الله عنه والمثنى بن حارثة أمير جيش العراق بالمدينة يطلب المدد، فلما ولي عمر رضي الله عنه ندب الناس مع المثنى به حارثة إلى أهل فارس.

الحيرة

وصل المثنى إلى الحيرة في عشرة آلاف من الجند، ثم وصل أبو عبيد الثقفي

---

(١) الكامل ٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨، والكامل ٢/ ٢٧٣ ـ ٣٧٥.

بعد شهر بمن معه، فاقتتلوا مع جيش الفرس بالنمارق وهزم الله أهل فارس، وأسر قائداهما جابان ومردنشاه[١].

وقعة الجسر

وفي شعبان سنة ثلاثة عشر ندب رستم الجالينوس وبهمن لقتال المسلمين ومعهما فيلة، فنزل المسلمون بالمروحة[٢]، ونزل الفرس بقس الناطف وبينهما جسر، فعبر المسلمون الجسر لقتال الفرس، فهابت خيل المسلمين فيلة الفرس، واشتد الأمر بالمسلمين، وتتابع في استلام الراية سبعة نفر من ثقيف كلهم يأخذ الراية ويقتل، وتواثب المسلمون إلى الفرات، فمات يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وقتل من الفرس ستة آلاف[٣].

وقعة البويب

أمدَّ عمر بن الخطاب المثنى بالجيش، ووافوه إلى البويب، ومهران بإزائه من وراء الفرات، فعبر مهران إلى المثنى في رمضان والتحم الجيشان وطال الأمر حتى قتل مهران، فاندحر الفرس، قيل قتل من الفرس يومئذ مائة ألف.

القادسية[٤]

لما رأى الفرس ما يفعل المسلمون بالعراق، اجتمعوا على تولية ملك عليهم من سلالة كسرى وهو يزدجرد، فعهد يزدجرد قيادة الجيش الفارسي إلى رستم، وبدأ رستم باسترجاع بعض المدن العراقية، فأرسل الخليفة مدداً إلى المثنى عليهم سعد بن أبي وقاص، واجتمع جيش المسلمين في القادسية [٥] وعليهم سعد بعد أن

---

(١) الكامل ٢/ ٢٩٨ ـ ٣٠١، والطبري ٤/ ٩١ ـ ٩٧.

(٢) المروحة: موضع في العراق على شط الفرات الغربي (معجم البلدان ٥/ ١١١ ـ ١١٢).

(٣) انظر الكامل ٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥، وابن خلدون ٢/ ٨٩، والطبري ٤/ ٧١ ـ ٧٤.

(٤) القادسية: سهل متسع يرويه الفرات.

(٥) كان عدد جيش المسلمين ثلاثين ألفاً، وعدد جيش الفرس مائة وعشرين ألفاً ومعهم ثلاثة وثلاثون فيلاً.

توفي المثنى وعرضوا على الفرس الإسلام أو الجزية فأبوا، وفي رمضان سنة أربع عشرة بدأت المعركة، وحمي القتال، ونفرت خيول المسلمين من الفيلة، وصبر المسلمون حتى هزموا الفرس في اليوم الرابع وقتل رستم[1].

فتح بابل

سار سعد من القادسية حتى وصل بابل، وبها فلول القادسية وكانوا استعملوا عليهم الفيرزان، فقاتلهم المسلمون فهزموهم.

فتح المدائن الغربية

وفي صفر من السنة السادسة عشر خاض سعد دجلة إلى المدائن الغربية، فهرب الفرس نحو حلوان العراق، فلما دخل المسلمون المدائن لم يجدوا فيها أحداً، وجمع المسلمون من غنائم أهل المدائن وإيوان كسرى بالذات ما لا يقدر بثمن[2].

وقعة جلولاء

بعد المدائن اجتمعت فلول فارس في جلولاء، وأمروا عليهم مهران الرازي، فأرسل سعد ابن أخيه هاشم بن عتبة ومعه القعقاع بن عمرو فحاصرهم في خنادقهم حتى دخلوا عليهم وقاتلوهم قتالاً شديداً شبيهاً بقتال القادسية، فانهزم المشركون ولم ينج منهم إلا القليل وقتل منهم يومئذ مائة ألف[3].

فتح حلوان

لما بلغت الهزيمة يزدجرد هرب من حلوان التي سار إليها القعقاع بن عمرو، فالتقى بأميرها خسرسنوم فاقتتلوا قتالاً شديداً فهرب خسرسنوم، واستولى المسلمون على حلوان.

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٢/ ٩٥ ـ ٩٨، والكامل ٢/٣١٦ ـ ٣٣١، والطبري ٤/ ١١٠ ـ ٢٢٤.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤/ ١٧٠ ـ ١٧٩، والكامل ٢/٣٥٦ ـ ٣٦١.

(٣) انظر الكامل ٢/٣٦١ ـ ٣٦٣، وتاريخ الطبري ٤/١٧٩ ـ ١٨٦.

بناء الكوفة والبصرة

في السنة السابعة عشر اختطت الكوفة، وتحول سعد بن أبي وقاص إليها من المدائن، وسبب ذلك أن سعداً أرسل وقداً إلى عمر بهذه الفتوح المذكورة، فلما رآهم عمر سألهم عن تغير ألوانهم وحالهم، فقالوا وخومة البلاد غيرتنا، فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلاً برياً بحرياً ليس بينهم وبين عمر بحر ولا جسر، فاختيرت الكوفة، ونزلها سعد في المحرم من سنة سبع عشرة. وبنوا الكوفة والبصرة بالقصب أولاً، فوقع فيهما الحريق، فاستأذنوا عمر أن يبنوها باللبن فأذن لهم[1].

من أخبار سنة سبع عشرة

في هذه السنة زاد عمر في المسجد النبوي، وتزوج عمر أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء وابنة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[2]. وفيها فتحت الأهواز ومناذر ونهر تيري وتستر ورامهرمز والسوس وجنديسابور.

من أخبار سنة ثماني عشرة

فيها حصل طاعون عمواس بناحية الأردن، ومات فيه نحو خمسة وعشرين ألفاً. وفي هذه السنة حصل قحط شديد فسمي ذلك العام بعام الرمادة[3].

فتح مصر

في سنة عشرين فتحت مصر والإسكندرية على يد عمرو بن العاص وبمساندة الزبير بن العوام وذلك بعد هزيمة المقوقس حاكم مصر بعين شمس، وصالح عمرو بن العاص أهل مصر على الأمان على أموالهم وأنفسهم وكنائسهم[4]. أما

---

(١) انظر الكامل ٢/٣٦٩.

(٢) عن شذرات الذهب ١/٢٩، وانظر الكامل ٢/٣٧٦.

(٣) انظر الكامل ٢/٣٨٨ ـ ٣٨٩.

(٤) انظر الكامل ٢/٣٩٦ ـ ٣٩٧، والطبري ٤/٢٢٨ ـ ٢٣٢، وابن خلدون ٢/١١٤ ـ ١١٥، وتاريخ الإسلام جزء عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٢٤.

في الإسكندرية فقاتل عمرو المقوقس فيها وحاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة، وغنم ما فيها وجعلهم ذمة.

وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قتل عمر رضي الله عنه طعناً لثلاث وقيل لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين. طعنه مولى من نصارى العجم اسمه أبو لؤلؤة وهو في صلاة الصبح إماماً للناس، وطعن معه اثني عشر رجلاً، مات منهم ستة.

وقبل وفاته سأله أصحاب النبي ﷺ الوصية، فقال: «أوصيكم بكتاب الله فإنكم لن تضلوا ما اتبعتموه، وأوصيكم بالمهاجرين، فإن الناس يكثرون ويقلون، وأوصيكم بالأنصار، فإنهم شعب الإسلام الذي لجأ إليه، وأوصيكم بالأعراب فإنهم أصلكم ومادتكم، وعدو عدوكم، وأوصيكم بأهل الذمة فإنهم ذمة نبيكم وأرزاق عيالكم، قوموا عني»[1].

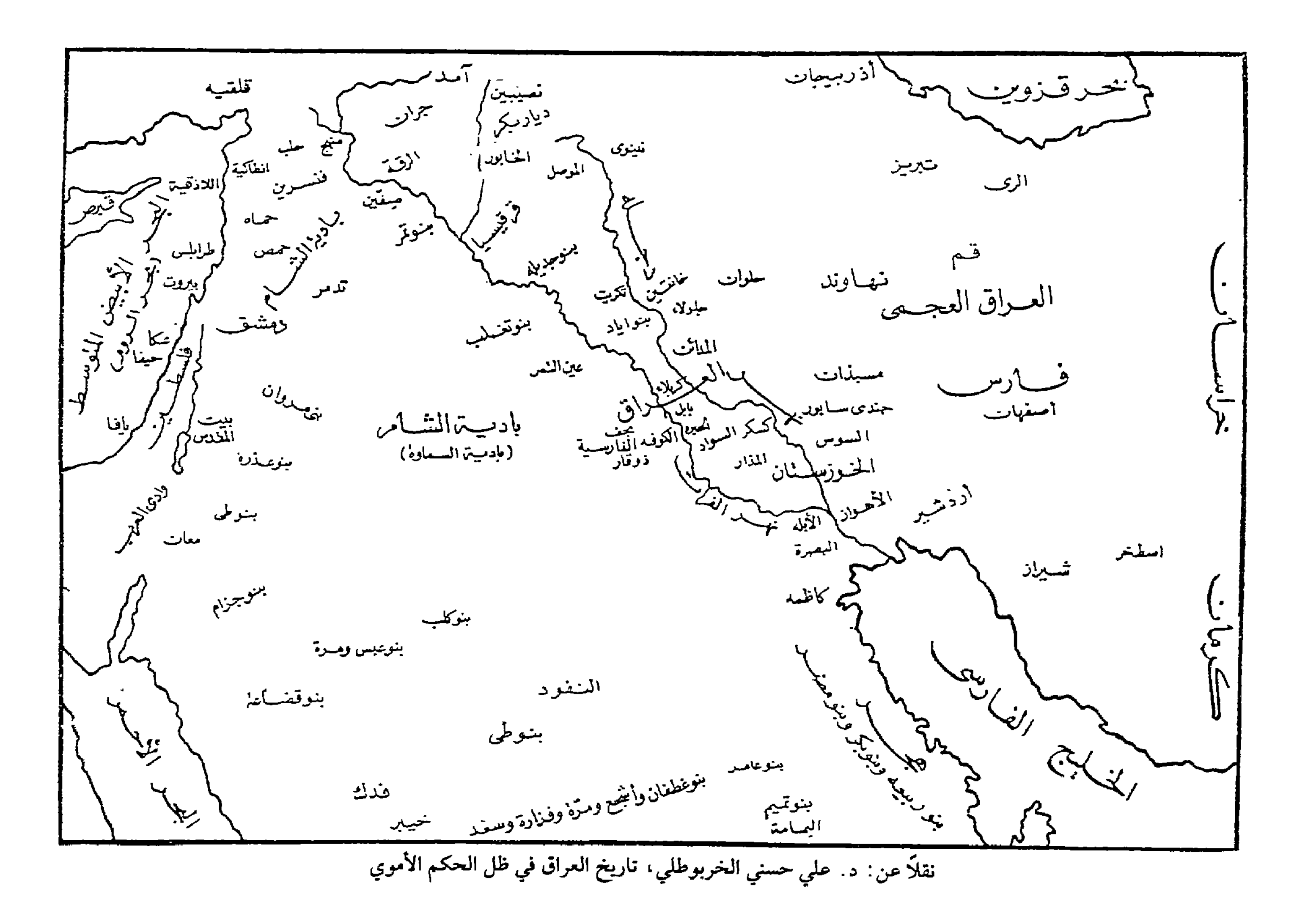
وقال له أصحاب رسول الله ﷺ استخلف، فقال: لا أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى: علياً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وجعل معهم ابنه عبد الله يشاورونه فقط وليس له من الأمر شيء.

فلما دفن عمر رضي الله عنه ورحمه اجتمع أهل الشورى الستة، وفوض الزبير ما له من الأمر إلى علي، وفوض سعد ما له إلى عبد الرحمن، وفوض طلحة حقه إلى عثمان رضي الله عنهم جميعاً، ثم انسحب عبد الرحمن على أن يختار هو بين علي وعثمان، فاستشار المسلمين مدة ثلاثة أيام وخلا بعلي ثم بعثمان وأخذ ميثاقهما، ثم بايع عثمان وقام الناس فبايعوا[2].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٥٦.

(٢) انظر تاريخ الإسلام جزء عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٧٨ ـ ٢٨٢، والطبقات الكبرى ٣/ ٢٥٩ ـ ٢٧٠، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦، والبداية والنهاية ٧/ ١٣٧ ـ ١٣٨، و ٧ ـ ١٤٤ ـ ١٤٧، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٣ ـ ٤٢.



نقلاً عن: د. علي حسني الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي

الأمور الشرعية في عهده

مصادر التشريع

في عهد عمر بن الخطاب زاد الفقهاء وبالتحديد هو رضي الله عنه مصدراً جديداً إلى مصادر التشريع وهو الفتاوى التي حصلت في عهد الصديق، حيث ورد في إعلام الموقعين أن عمر كان يقضي بين الناس بالكتاب والسنة كفعل الصديق. . . «فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة سأل: هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء؟ فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به، وإلا جمع علماء الناس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به»[1] وهذا نص أيضاً يدل على العمل بالإجماع في عهد الصحابة، والخلفاء الراشدين تحديداً.

خطاب عمر في القضاء

من أهم أقوال عمر بن الخطاب في التشريع والقضاء خطابه المشهور الذي أرسله إلى أبي موسى الأشعري ونصه:

«أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف في عدلك، البينة على المدعي، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً. . ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينتهي إليه، فإن بينه أعطيته بحقه، وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية، فإن ذلك هو أبلغ في العذر وأجلى للعماء، ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجرباً عليه شهادة زور، أو مجلوداً في حد، أو ظنيناً في ولاء أو قرابة، فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر، وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان، ثم الفهم الفهم فيما أدلى إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ٦٢، وانظر أخبار القضاة لوكيع ١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

الأمور عند ذلك واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق، وإياك والغضب والقلق والضجر، والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخصوم ـ شك أبو عبيدة ـ فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر، ويحسن به الذكر، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس في نفسه شانه الله، فإن الله تعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصاً، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام عليك ورحمة الله»[1].

وضع التاريخ

من المعروف أن عمر بن الخطاب هو أول من وضع التاريخ، حيث استشار الصحابة رضوان الله عليهم من أي تاريخ يبدأ، فبعد المشاورة أشار عليه علي بن أبي طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته عليه السلام من مكة إلى المدينة لأنه تاريخ معروف لكل الناس فاستحسن ذلك.

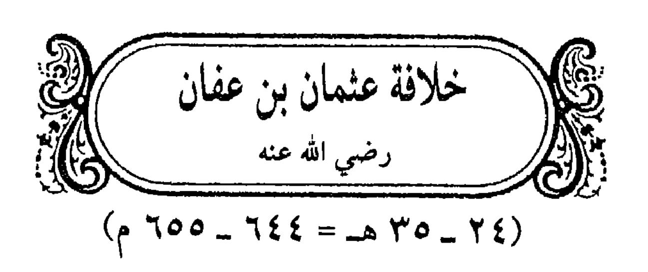
أهم الوفيات في عهده

توفي سنة ثلاث عشرة عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ أحد الأبطال والشجعان المشهورين. وتوفي سنة أربع عشرة عمرو بن أم مكتوم الأعمى المذكور في سورة عبس. والمثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني نائب خالد على العراق والأمير الثاني يوم الجسر. وأبو زيد الأنصاري البخاري أحد القراء الأربعة الذين حفظو القرآن من الأنصار في عهد رسول الله ﷺ. وتوفي أيضاً هند بنت عتبة بن ربيعة الأموية والدة معاوية بن أبي سفيان، كانت من سيدات نساء قريش ذات رأي ودهاء، وهي التي لاكت كبد حمزة فلم تستطع إساغتها. وفي سنة ست عشرة في المحرم توفيت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وصلى عليها عمر بن الخطاب. وفي سنة ثماني عشرة توفي شرحبيل بن حسنة أحد القواد الكبار في الإسلام. وفيها توفي أبو عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة. ومعاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي أحد الأربعة من

---

(١) عن إعلام الموقعين ١/ ٨٥ ـ ٨٦.

الخزرج الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ. وفي سنة تسع عشرة توفي أبي بن كعب سيد القراء. وفي سنة عشرين توفي أسيد بن حضير أحد النقباء ليلة العقبة. وبلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ. وفيها توفيت زينب بنت جحش أم المؤمنين. وصفية بنت عبد المطلب عمة النبي. وفي سنة إحدى وعشرين توفي خالد بن الوليد أحد القواد في العهد الإسلامي الأول.



خلافة عثمان بن عفان
رضي الله عنه

(٢٤ ـ ٣٥ هـ = ٦٤٤ ـ ٦٥٥ م)

اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضين من المحرم من سنة أربع وعشرين وقد دخل وقت العصر، وقد أذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الأذان والإقامة، فخرج فصلى بالناس[١].

ثم صعد منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: إنكم في دار قلعة، وفي بقية من أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم صُبحتم أو مُسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. ، اعتبروا بمن مضى، ثم جدوا ولا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها، ومتعوا بها طويلاً، ألم تلفظهم، ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة، فإن الله قد ضرب لها مثلاً والذي هو خير، فقال عز وجل: **﴿واضرب لهم مَثَلَ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح، وكان الله على كل شيء مقتدراً * المال والبنون زينةُ الحياةِ الدنيا والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً﴾**[٢]»[٣].

نسبه

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٥/ ١٤، والبداية والنهاية ٧/ ١٤٧.

(٢) سورة الكهف آية ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) نقلاً عن تاريخ الطبري ٥/ ٤٣، وانظر البداية والنهاية ٧/ ١٤٨.

قصي القرشي الأموي ذو النورين، وصاحب الهجرتين، زوج الابنتين. أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس. أحد المشهود لهم بالجنة، ثالث الخلفاء الراشدين المهديين.

حياته وأزواجه وأولاده

أسلم رضي الله عنه قديماً على يدي أبي بكر الصديق، ثم تزوج برقبة بنت الرسولﷺ، وهاجر إلى الحبشة ومعه زوجته، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة المنورة، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض رقية وأقام بسببها في المدينة، فلما توفيت زوجه رسول الله ﷺ بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضاً في صحبته فقال رسول الله ﷺ: «لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان» وشهد أحداً والخندق والحديبية، وبايع عنه رسول الله ﷺ بإحدى يديه، وشهد خيبر وعمرة القضاء، وحضر فتح مكة وهوازن والطائف وتبوك، وجهز جيش العسرة فوضع في حجر رسول الله ﷺ ألف دينار، فقال ﷺ: ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم، مرتين. وحج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، وتوفي وهو عنه راض(١).

أما أولاده فمن رقية: عبد الله، وبه كان يكنى، ولم يكن له أولاد من أم كلثوم. ثم تزوج **بفاختة بنت غزوان** بن جابر فولد له منها عبيد الله الأصغر، ثم تزوج **بأم عمرو بنت جندب** بن عمرو الأزدية، فولدت له عمراً، وخالداً، وأباناً، وعمر، ومريم. وتزوج **بفاطمة بنت الوليد** بن عبد شمس المخزومية، فولدت له الوليد وسعيداً. وتزوج **أم البنين بنت عيينة** بن حصن الفزارية، فولدت له عبد الملك وعتبة. وتزوج **رملة بنت شيبة** بن ربيعة فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو. وتزوج **نائلة بنت الفرافصة** بن الأحوص، فولدت له مريم، ويقال عنبسة. وقتل وعنده أربع نائلة ورملة وأم البنين وفاختة(٢).

فضائله

ومما ورد فيه من أحاديث الرسول ﷺ ما رواه البخاري في صحيحه بسنده أن

---

(١) عن البداية والنهاية بتصرف ٧/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) ملخصاً عن البداية والنهاية ٧/ ٢١٩.

أنساً حدثهم قال: «صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: اسكن أحد ـ أظنه ضربه برجله ـ فليس عليك إلا نبي وصدِّيق وشهيدان».
وفي مسند الإمام أحمد، قال رسول الله ﷺ: «ارحم أمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأشدها حياء عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أبي، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة[١].

ومن فضائله أيضاً ما حدث به هو عن نفسه فقال: «لقد خبأت عند ربي عشراً: إني لرابع أربعة في الإسلام، وما تغنيت ولا تمنيت[٢]، ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا مرت به جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة، إلا أن لا يكون عندي فأعتقها بعد ذلك، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، وجهزت جيش العسرة، وأنكحني النبي ابنتيه، ثم ماتت، فأنكحني الأخرى، وما سرقت في جاهلية ولا إسلام»[٣].

غزواته وفتوحاته

أعماله في الكوفة

ولى أمير المؤمنين عثمان أمر الكوفة إلى سعد بن أبي وقاص، فعمل سنة وبعض سنة، ثم تولاها أبو موسى الأشعري[٤] ثم الوليد بن عقبة ثم سعيد بن العاص.

وبعث أمير المؤمنين: سلمان بن ربيعة الباهلي إلى آذربيجان وأرمينيا في اثني عشر ألف مقاتل فاستولى أولاً على آذربيجان، ثم صالحهم الوليد بن عقبة. ثم استولى سلمان على أرمينية وسبى وغنم.

في الشام

في سنة أربع وعشرين جمع الروم للمسلمين، فطلب أهل الشام المدد من

---

(١) المصدر السابق ٧/ ٢٠٤.
(٢) أي ما كذبت.
(٣) تاريخ الإسلام جزء عهدالخلفاء الراشدين ص ٤٦٩.
(٤) انظر في سبب عزل سعد بن أبي وقاص تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٢٧.

الخليفة، فجاءهم سلمان الباهلي في ثمانية آلاف رجل، فشنوا الغارات على أرض الروم فسبوا وغنموا وافتتحوا حصوناً كثيرة.

الاسكندرية

في سنة ست وعشرين استنجد أهل الاسكندرية بهرقل، فنقضوا بذلك العهد مع المسلمين، فلقي عمرو بن العاص جنود هرقل فهزمهم واتبعهم إلى الاسكندرية حتى هدم سورها ثم رجع إلى مصر.

خبر أفريقية[1] والأندلس

في سنة ست وعشرين[2] عزل عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر، واستعمل مكانه عبد الله بن سعد بن أبي السرح أخاه من الرضاعة، وأمره بغزو أفريقية، فسار إليها في عشرة آلاف رجل فافتتحها سهلها وجبلها، وأسلم أهلها.

وصمد في قتال أفريقية ملك البربر جرجير[3] وكان في مائة وعشرين ألف جندي، فأحاط بالمسلمين، لكن وبخدعة من المسلمين قتل ملك البربر وفر جنده، فغنم المسلمون منهم أموالاً كثيرة.

فتح قبرص

وفي سنة ثمان وعشرين ركب معاوية البحر إلى قبرص في جيش كثيف، ولحق به من الجانب الآخر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فالتقيا على أهلها فقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا سبايا كثيرة، وغنموا أموالاً جزيلة، ثم صالحهم معاوية على سبعة آلاف دينار في كل سنة[4].

فتح طبرستان[5]

في سنة ثلاثين غزا سعيد بن العاص بلاد طبرستان وكان معه من الصحابة

---

(١) المقصود بإفريقية تونس.

(٢) نقلاً عن الطبري ٥/٢٧. أما في ابن خلدون فكان ذلك سنة خمس وعشرين (١٢٨/٢)، وفي البداية والنهاية كان ذلك سنة سبع وعشرين (٧/ ١٥١ ـ ١٥٢).

(٣) هو الذي يسمى غريغوريوس بن نيكيتاس.

(٤) انظر البداية والنهاية ٧/ ١٥٣، والطبري ٥/ ٥١ ـ ٥٢.

(٥) طبرستان: بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم منها: دهستان وجرجان واستراباذ وآمل وشالوس (معجم البلدان ٤/ ١٣).

الحسن والحسين والعبادلة الأربعة، فسار بهم فمر على بلدان شتى يصالحونه على أموال جزيلة، وانتهى إلى جرجان فقاتله أهلها حتى احتاج المسلمون إلى صلاة الخوف، ثم سألوهم الأمان فصالحهم المسلمون على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن فقتلهم إلا رجلاً واحداً[1].

غزوة الصواري

في سنة إحدى وثلاثين اجتمعت الروم على قسطنطين بن هرقل، خرجوا إلى المسلمين في جمع كبير في البحر وقصدوا عبد الله بن سعد فخرج لإمداده معاوية، فالتقى الجمعان وعقدت الصواري بين سفن المسلمين والروم، ودار قتال شديد جداً حتى غلب لون الدم على البحر، وصبر المسلمون صبراً لم يعهد مثله قط حتى كان النصر للمسلمين وهرب قسطنطين وجيشه[2].

فتوحات أخرى

في سنة واحد وثلاثين قتل كسرى ملك الفرس يزدجرد، وفتحت أرمينية ومناطق في فارس هي: أبرشهر وطوس وبيورد ونسا وسرخس وحصل صلح مع أهل مرو.

وفي سنة اثنين وثلاثين فتح عبد الله بن عامر مرووذ والطالقان والفارياب والجوزجان وطخارستان.

الفتنة الكبرى

اكتملت الفتوحات الإسلامية بالسيطرة على العراق والشام ومصر وأفريقية وكثير من مدن فارس وبعض أرمينية وأطراف بلاد الترك، ودخل في الإسلام كثير من هذه الشعوب، وقل صحابة رسول الله ﷺ إما بالموت أو بالشهادة. وأثر الترف والإسراف واقتناء القصور على نفوس المسلمين. في ظل هذه الظروف بدأ السخط يظهر ضد الخليفة وعابه الناس في أمور منها:

١ـ استعمل عثمان بن عفان عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان قد ارتد.

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ١٥٤، وتاريخ الطبري ٥/ ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) البداية والنهاية ٧/ ١٥٧ ـ ١٥٨، وتاريخ الطبري ٥/ ٦٩ ـ ٧١، والكامل ٣/ ٥٨ ـ ٦٠.

وكفر، فأباح رسول الله ﷺ دمه، وكان أخا عثمان من الرضاعة.

٢ـ أخرج رسول الله ﷺ أقواماً واستعملهم عثمان.

٣ـ نزع أصحاب رسول الله ﷺ واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر (١).

٤ـ إخراج أبي ذر من الشام ومن المدينة إلى الربذة.

٥ـ زيادة النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة.

٦ـ إتمامه الصلاة في منى وعرفة، مع أن الأمر في حياة رسول الله ﷺ والشيخين بعده كان القصر.

٧ـ سقوط خاتم النبي ﷺ من يده في بئر أريس ولم يوجد.

ودخلت سنة أربع وثلاثين، وفيها تكاتب المنحرفون عن طاعة عثمان، وكان جمهورهم من أهل الكوفة، وثاروا على أمير الكوفة سعيد بن العاص، فتألفهم عثمان بإرسال بعض الأموال وشغلهم عن أمرهم بالغزو.

وفي سنة أربع وثلاثين أيضاً كلم الناس علي بن أبي طالب، فنصح علي عثمان رضي الله عنهما، فخرج عثمان إلى المسجد فوعظ وحذر الناس وأنذرهم وتوعدهم، ثم بيّن أن ما كان يعطيه لأقربائه هو من فضل ماله. وعرض عليه معاوية أن يصحبه إلى الشام أو يجهز له جيشاً يمنعونه من المنحرفين فرفض.

وفي سنة خمس وثلاثين كثرت المعارضة وتكاتبوا فيما بينهم حتى خرج من أهل الكوفة ستمائة رجل عليهم عمرو بن الأصم، ومن أهل البصرة مثلهم عليهم حرقوص بن زهير السعدي، ومن أهل مصر مثلهم عليهم الغافقي بن حرب العكي، وأقبل معهم محمد بن أبي بكر الصديق، فخرج إليهم عثمان وردهم إلى بلادهم وأزاح لهم جميع عللهم حتى لم يبق لهم شبهة. لكن أهل مصر والكوفة والبصرة عادوا وأحاطوا بالمدينة يريدون عزل عثمان، وحاصروا منزله، ولزم كثير من

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ففيه تفصيل وتحليل جيد ٢ قسم ١٣٨/٢ ـ ١٤٠، وانظر البداية والنهاية ١٦٧/٧ ـ ١٦٨.

الصحابة بيوتهم، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة عن أمر آبائهم، منهم الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو، وصاروا يحاجون عنه، ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم.

واستمر الحصار أكثر من شهر، ثم تسور بعض جنود الأمصار داراً مجاوراً لدار عثمان، فدخلوا عليه، بين يديه المصحف وهو يتلو: **﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾**[1] فضربه بالسيف رجل يقال له كنانة بن بشر، ثم ضربه سودان المرادي فقتله ثم طعنه عمرو بن الحمق فمات رحمه الله[2].

الأمور الشرعية في عهده

نسخ القرآن

من أهم الأمور الشرعية التي قام بها عثمان بن عفان نسخ القرآن على نُسخ وتوزيعها على الأمصار. والسبب الداعي لذلك اتساع رقعة البلاد حيث وقع بعض الاختلاف في أرمينية وأذربيجان في قراءة بعض الكلمات[3]، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام بنسخ المصحف عن الصحف التي لدى حفصة، ثم رد الصحف إليها. ووزع عثمان رضي الله عنه المصاحف إلى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة وأبقى واحداً في المدينة.

أهم الوفيات في عهده

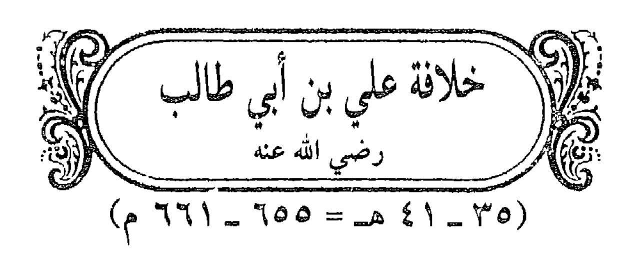
توفي في عهد عثمان وفي سنة ثنتين وثلاثين العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ. وعبد الله بن مسعود أحد كبار الصحابة ومن المكثرين عن رسول الله ﷺ تحديثاً. وعبد الرحمن بن عوف أحد كبار الصحابة. وفيها أيضاً توفي أبو ذر الغفاري صاحب النبي ومن المكثرين عنه ﷺ تحديثاً.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٣.

(٢) انظر تاريخ الإسلام جزء عهد الخلفاء الراشدين ص ٤٥٦، والبداية والنهاية ٧/١٨٨ ـ ١٨٩، وطبقات ابن سعد ٣/٧٣، وتاريخ الطبري ٥/١٠٢ ـ ١١٠.

(٣) قيل هذا الاختلاف إنما هو من الحروف السبعة التي قرأها النبي ﷺ ولم يكن اختلافاً غير مشروع.



وبعد مقتل عثمان رضي الله عنه، إجتمع بعض الصحابة على بيعة علي بن أبي طالب، فتكلموا معه في صباح مقتل عثمان بالامر فأبى وقال: ليس ذلك إليكم، وإنما هو لأهل الشورى وأهل بدر، فمن رضي به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة. فتركوه، ثم خافوا الفرقة بين المسلمين، فرجعوا إلى علي وخوفوه الفتنة، ثم بايعه الأشتر النخعي، ثم دخل علي المسجد فبايعه الناس هناك. وكان فيمن بايع طلحة والزبير[1].

ثم قام علي خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال وولد عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم. هم أعظم الناس حيطة من ورائه، وإليهم سعيه وأعطفهم عليه إن أصابته مصيبة، أو نزل به بعض مكاره الأمور، ومن يقيض يده عن عشيرته فإنه يقبض عنهم يداً واحدة، وتقبض عنه أيد كثيرة، ومن بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى، يخلف الله له ما أنفق في دنياه، ويضاعف له في آخرته. واعلموا أن لسان صدق يجعله الله للمرء في الناس، خير له من المال، فلا يزدادنّ أحدكم كبرياء، ولا عظمة في نفسه، ولا يغفل أحدكم عن القرابة أن يصلها بالذي لا يزيده إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلكه.

واعلموا أن الدنيا قد أدبرت، والآخرة قد أقلبت، ألا وإن المضمار[2] اليوم،

---

(١) انظر في بيعة علي رضي الله عنه: الإمامة والسياسة ص ٤٧ ـ ٥٠، وتاريخ الطبري ٥/ ١٥٢ ـ ١٥٥، والبداية والنهاية٧/ ٢٢٦ ـ ٢٢٩.

(٢) المضمار: مكان السباق.

والسبق غداً. ألا وإن السُبقة الجنة. والغاية النار. ألا إن الأمل يشهي القلب، ويكذب الوعد، ويأتي بغفلة، ويورث حسرة فهو غرور، وصاحبه في عناء، فافزعوا إلى قوام دينكم، وإتمام صلاتكم، وأداء زكاتكم، والنصيحة لإمامكم، وتعلموا كتاب الله، واصدقوا الحديث عن رسول الله ﷺ، وأوفوا بالعهد إن عاهدتم، وأدوا الأمانات إذا ائتمنتم، ارغبوا في ثواب الله، وارهبوا عذابه، واعملوا الخير تجزوا خيراً يوم يفوز بالخير من قدم الخير[1].

ترجمة علي رضي الله عنه

نسبه

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف[2].

أزواجه وأولاده

أول زوجة تزوجها علي رضي الله عنه **فاطمة بنت رسول الله** ﷺ ورضي الله عنها، بنى بها بعد وقعة بدر، فولدت له الحسن والحسين ومحسناً، وزينب الكبرى وأم كلثوم[3]. وبعد وفاة فاطمة رضي الله عنها تزوج **خولة بنت جعفر** فولدت له محمد ابن الحنفية. وتزوج **ليلى بنت مسعود** فولدت له عبيد الله وأبو بكر. وتزوج **أم البنين بنت حزام** وولدت له العباس الأكبر وعثمان وجعفر الأكبر وعبد الله. وتزوج **أسماء بنت عميس** الخثعمية فولدت له يحيى وعون. وتزوج **الصهباء أم حبيب بنت ربيعة**، فولدت له عمر الأكبر ورقية. وتزوج **أمامة بنت أبي العاص بن الربيع** فولدت له محمد الأوسط. وتزوج **أم سعيد بنت عروة** فولدت له أم الحسن بنت علي ورملة الكبرى. وتزوج غيرهن وله منهن الأولاد: أم هانيء، ميمونة، زينب الصغرى، رملة الصغرى، أم كلثوم الصغرى، فاطمة، أمامة، خديجة، أم الكرام، أم سلمة، أم جعفر، جمانة ونفيسة[4].

---

(١) عن الإمامة والسياسة ص ٥٠ ـ ٥١. وانظر الكامل في التاريخ ٣/ ١٠٠.

(٢) عن الطبقات الكبرى ٣/ ١٣ ـ ١٤، وانظر الإصابة ٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨.

(٣) وهي زوجة عمر بن الخطاب كما تقدم.

(٤) ملخصاً عما ورد في الطبقات الكبرى ٣/ ١٣ ـ ١٥.

إسلامه وفضائله

هو أول من أسلم من الصغار وذلك بعد خديجة وأبي بكر رضي الله عنهما، وكان عمره تسع سنين، خلّفه رسول الله ﷺ على فراشه ليلة الهجرة، وأمره أن يؤدي ودائع الناس.

وخلفه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقال يا رسول الله: «تخلفني في النساء والصبيان؟»، فقال: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير انه لا نبي بعدي**»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً يحبُ الله ورسوله، يفتح الله على يديه» قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال فتساورت لها[٢] رجاء أن أدعى لها. قال فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب. فأعطاه إياها، وقال: «إمش ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك» قال: فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت. فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟«قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[٣]».

أعماله وغزواته في خلافته

ولاة الأمصار

دخلت سنة ست وثلاثين وعلى الخليفة أن يحل قضيتين، الأولى: الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، والثانية: تغيير بعض الأمراء في الأمصار.

أول عمل قام به أمير المؤمنين علي أنه ولى على الأمصار نواباً، فولى عبد الله بن عباس على اليمن، وعثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر، وسهل بن حنيف على الشام بدل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧١.

(٢) تساورت لها: تطاولت لها وأظهرت وجهي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧١ ـ ١٨٧٢.

معاوية، لكن معاوية لم يمكنه من استلام مركزه، فرجع إلى علي. وأما أهل البصرة فرفضوا البيعة حتى يقتصوا من قتلة عثمان، فجهز علي جيشاً لقتال من عصاه.

وقعة الجمل

كان أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج، وأقمن بمكة عندما علمن بمقتل عثمان. وأثناء تجهيز علي الجيش إلى الشام استأذن طلحة والزبير علياً في أداء العمرة، فأذن لهما، وتبعهما خلق كثير. وندب علي أهل المدينة إلى القيام فامتنعوا. وقامت عائشة رضي الله عنها تحث الناس على القتال بطلب دم عثمان فاستجابوا لها وخرجوا إلى البصرة في ثلاثة آلاف رجل وعائشة في هودج على جمل. فاقتتل جيشها مع جيش عثمان بن حنيف حتى اصطلحا في اليوم الثاني بعدما كثرت الجراح في الفريقين [1].

وفي شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين خرج علي من المدينة في نحو تسعمائة مقاتل، وارسل من يستنصر بأهل الكوفة، لكنهم لم ينصروه لأنهم يريدون الاقتصاص أولاً من قتلة عثمان، ثم حاول ابنه الحسن وعمار بن ياسر فاستجاب نهما من أهل الكوفة تسعة آلاف. وبعث علي القعقاع رسولاً إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة، فبدأ بعائشة رضي الله عنها ثم تكلم مع طلحة والزبير فتوافقوا على الصلح، إلا أن قتلة عثمان حاكوا مؤامرة فأثاروا القتال بين الفريقين، وقامت الحرب، وكان ذلك في جمادى الآخرة، وكان مع علي عشرون ألفاً، والتف على عائشة ومن معها نحواً من ثلاثين ألفاً. أما طلحة فأصابه سهم فمات، ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين، وانهزم جيش عائشة رضي الله عنها [2].

ثم دخل علي البصرة فبايعه أهلها حتى الجرحى، ثم استأذن علي على أم

---

(١) انظر البداية والنهاية ٧/ ٢٣٠ ـ ٢٣٤، وتاريخ ابن خلدون القسم الثاني من الجزء الثاني ص ١٥٣ ـ ١٥٧.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٥/ ١٨٤ ـ ٢١٩، والبداية والنهاية ٧/ ٢٣٠ ـ ٢٤٦، وتاريخ ابن خلدون القسم الثاني ص ١٥٣ ـ ١٦٤.

المؤمنين فدخل عليها، ورحبت به، ولما أرادت الخروج من البصرة اختار علي لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ليخرجن معها. فلما ودعها الناس قالت لهم: يا بني، لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القِدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي لمن الأخيار» فخرجت إلى مكة ثم إلى المدينة[1].

خبر مصر

في سنة ست وثلاثين ولى علي بن أبي طالب نيابة مصر لقيس بن سعد بن عبادة، فبايع أهل مصر علياً إلا قرية منها يقال لها خربتا في عشرة آلاف فوادعها قيس. ثم ولى علي بعد ذلك أمر مصر إلى محمد بن أبي بكر[2].

أمر معاوية

أما معاوية فرفض مبايعة علي، فأرسل له علي من الكوفة برسالة يحضه فيها على المبايعة والدخول بما دخلت به الجماعة، فرفض، وتتابعت المراسلات بين علي ومعاوية رضي الله عنهما بدون جدوى، ورفض علي ترك أمر الشام إلى معاوية. لكن معاوية استفاد من خبرة عمرو بن العاص، فتعاقدا على إعطاء مصر لعمرو وبالمقابل يساعد معاوية ضد علي.

موقعة صفين

خرج علي من الكوفة يريد معاوية في الشام، فالتقى بجيش معاوية في صفين، فتواجه الفريقان وتقابلا طويلاً وذلك في أوائل ذي الحجة؛ وكانت ماء الفرات من جهة أهل الشام، ولما التحم الفريقان أزال أولاً أهل العراق أهل الشام عن الماء، ثم اصطلحوا على ورود الماء جميعاً ولا يؤذي أنسان إنساناً.

وتهادن الفريقان أول سنة سبع وثلاثين، وفي أول يوم صفر بدأ القتال، وكان صحاب علي خمسين ألفاً وقيل تسعين، وأصحاب معاوية سبعين ألفاً[3]،

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) انظر البداية والنهاية ٧/ ٢٥٣، وتاريخ الطبري ٥/ ٢٢٦ ـ ٢٣٢.

(٣) انظر تاريخ الإسلام جزء الخلفاء الراشدين ص ٥٤٢.

وبعد عشرة أيام من القتال كان قد قتل بعض أمراء الأجناد وقتل عمار بن ياسر وكان مع علي، فتذكر الناس حديث رسول الله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»، فأجاب عن ذلك معاوية: «إنما قتل عماراً من جاء به».

وبدا التعب على أهل الشام فرفعوا المصاحف، وتوقف أهل العراق عن القتال، لكن علياً حضهم على متابعة الحرب فلم يجيبوه، ولجأوا إلى التحكيم[1].

التحكيم

وبعد مراسلات ومراجعات بين معاوية وعلي استقر الرأي على أن يحكم كل واحد من الأميرين رجلاً من جهته، فوكل معاوية عمرو بن العاص ووكل علي أبا موسى الأشعري. وأخذ الحكمان من علي ومن معاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، وأجلا القضاء إلى رمضان وذلك بدومة الجندل، وأطلق كل فريق أسرى الفريق الآخر.

وفي رمضان، وبحضور كبار الصحابة، وبعد حوار وخلاف، اتفق الحكمان على أن يخلع كل واحد منهما صاحبه ويتركا الأمر شورى، فقام أولاً أبو موسى الأشعري فخلع علياً، ثم قام عمرو فثبَّت معاوية وحياه بتحية الخلافة. فقام علي في أصحابه خطيباً غير راض عمَّا آلت الأمور إليه، وطلب منهم المسير إلى الشام[2].

أمر الخوارج

وحال بين علي وبين المسير إلى الشام انقسام أهل العراق، وقيام الخوارج الذين زعموا أن قبول مبدأ التحكيم كفر واحتكام لهوى البشر، فناقشهم ابن عباس في الأمر فرجع بعضهم عن غيهم. ثم عبأ علي أصحابه لقتال الخوارج بعد أن قتلوا نسوة بريئات ورجلين، فالتقى الجمعان، فهزم الخواج ولم ينج منهم إلا ثمانية أشخاص[3].

---

(١) انظر البداية والنهاية ٧/ ٢٨٤، وتاريخ ابن خلدون القسم الثاني ٢/ ١٧٧ ـ ١٧٨، وتاريخ الطبري ٦/ ٤٠.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) انظر تاريخ ابن خلدون القسم الثاني ٢/ ١٨٠ ـ ١٨١، والبداية والنهاية ٧/ ٢٨٩، والكامل ٣/ ١٧٢ ـ ١٧٥.

رجوع علي إلى الكوفة

لما فرغ علي من أمر الخوارج، أراد أن يتابع مسيره إلى أهل الشام، إلا أن بعض جنده اعتذر إليه، وأرادوا إعادة تجهيز أنفسهم، فعاد إلى الكوفة وعسكر بهم في النخيلة، وأمرهم أن يلزموا عسكرهم، فتسلل كثير منهم إلى داخل الكوفة، وتثاقلوا عن الحرب، فخاطبهم علي وحثهم على القتال وتوعدهم وهددهم، لكنهم لم يستجيبوا لذلك، وتفرقوا عنه[1].

أمر مصر

ذكرنا أن علياً ولى على مصر محمد بن أبي بكر الصديق، ففسدت مصر في عهده، وقام جماعة يطالبون بدم عثمان، فلما علم علي بذلك عزله وولى عليها الأشتر. وقبل أن يصل الأشتر إلى مصر حاك له معاوية خديعة فقتله بشربة عسل مسمومة. وجهز معاوية عمرو بن العاص ومعه ستة آلاف رجل وأرسله إلى مصر، فتمكن عمرو من مصر بعد أن قتل محمد بن أبي بكر وتغلب على جيشه، وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين[2]. فلما علم علي بالأمر قام خطيباً في الناس، ومما قاله: «. . . واستصرخكم معلناً، وأناديكم نداء المستغيث فلا تسمعون لي قولاً . . . فأنتم القوم لايدرك بكم الثأر . . . دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليست له نية في جهاد العدو . . .[3]».

أمر البصرة

وفي سنة ثمان وثلاثين، وبعد أن تم لمعاوية أمر مصر سير إلى البصرة عبد الله الحضرمي، فلما قدم البصرة خرج منها عبد الله بن عباس إلى الكوفة، واستخلف عليها زياد بن أبيه، فنصره كثير من أهلها، فأرسل علي إلى أهل البصرة جارية بن قدامة السعدي فدعا أهلها إلى علي فاستجاب له كثير من أهلها وقاتل ابن الحضرمي فهزمه وقتله[4].

---

(١) الكامل ٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧، والبداية والنهاية ٧/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩.

(٢) انظر الكامل ٣/ ١٧٩ ـ ١٨٠، وتاريخ الطبري ٦/ ٥١ ـ ٦٠، والبداية والنهاية ٧/ ٣١٣ ـ ٣١٧.

(٣) عن الكامل ٣/ ١٨٠ ـ ١٨١.

(٤) عن الكامل ٣/ ١٨١ ـ ١٨٢.

سرايا معاوية

في سنة تسع وثلاثين فرق معاوية جيوشه في العراق وغيرها ليدخلها في طاعته فوجه النعمان بن بشير في ألف رجل إلى **عين التمر**. ووجه سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل إلى **هيت** ثم يأتي **الأنبار والمدائن**. ووجه عبد الله بن مسعدة ابن حكمة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى **تيماء** وبلغ أيضاً **مكة والمدينة**. ووجه معاوية الضحاك بن قيس في ثلاثة آلاف رجل وأمره أن يمر بأسفل **واقصة**[1]، ويغير على كل من مر به ممن هو في طاعة علي من الأعراب. أما عثمان وسفيان فتغلبا على ما سارا إليه، وأما عبد الله ومعاوية فاستطاع جيش علي أن يردهما[2].

وفي سنة أربعين بعث معاوية بسر بن أرطأة في ثلاثة آلاف إلى المدينة، فهرب عامل علي عليها، ودخل بسر **المدينة** ولم يقاتله أحد. ثم سار إلى مكة ودخلها. ثم مضى إلى **اليمن** فهرب عامل علي عليها إلى الكوفة. فلما علم علي بالأمر أرسل جارية بن قدامة السعدي في ألفين ووهب بن مسعود في ألفين، فسار جارية حتى أتى نجران فقتل بها ناساً من شيعة عثمان وهرب بسر وأصحابه منه[3].

مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

في سنة أربعين قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وسبب ذلك أن ثلاثة من الخوارج تعاهدوا على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وذلك في ليلة واحدة. أما ابن ملجم فانتظر علياً ليلة الجمعة قبيل الفجر أمام المكان الذي يدخل منه إلى المسجد، فلما دخل علي بادره ابن ملجم فضربه بالسيف على جبهته فوصل إلى دماغه، فعاش علي الجمعة والسبت وتوفي ليلة الأحد، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلاً. وقطعت أطراف ابن ملجم وأحرقوه بالنار[1].

---

(١) انظر الكامل ٣/ ١٨٨ ـ ١٩٠.

(٢) انظر الكامل ٣/ ١٩٢ ـ ١٩٣، والطبري ٦/ ٨٠ ـ ٨١، والبداية والنهاية ٧/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(٣) انظر الكامل ٣/ ١٩٥ ـ ١٩٧.

وقبل وفاته رضي الله عنه دعا الحسن والحسين فقال لهما: «أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضائع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصيماً، وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله، ولا تأخذكما في الله لومة لائم، ثم نظر إلى محمد بن الحنفية ابنه فقال: «هل حفظت ما أوصيت به أخويك»؟ قال: نعم، قال: «فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك العظيم حقهما عليك، وتزين أمرهما، ولا تقطع أمراً دونهما، ثم قال: أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه»[٢].

أما الذي أراد قتل معاوية فأخطأه فقتل. وأما الذي أراد قتل عمرو فإن عمرو لم يخرج تلك الليلة، لألم في بطنه، فصلى بالناس صاحب الشرطة فقتل مكانه.

خلافة الحسن

وبعد وفاة علي رضي الله عنه اجتمع أصحابه فبايعوا ابنه الحسن رضي الله عنه. وأول من بايعه قيس بن سعد، ثم بايعه الناس. وكان يشترط عليهم أن يسمعوا ويطيعوا ويسالموا من سالم، ويحاربوا من حارب،، فارتابوا وقالوا: ما هذا لكم بصاحب، وما يريد القتال. وبلغ الخبر بمقتل علي إلى معاوية فبويع بالخلافة ودعي بأمير المؤمنين.

حياة الحسن وفضائله

هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أبو محمد، سبط رسول الله عليه الصلاة والسلام وريحانته. ولد سنة ثلاث من الهجرة في النصف من رمضان. روي أنه حج خمساً وعشرين حجة ماشياً. كان جواداً كريماً. أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وزوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي. روي له عن النبي ﷺ أحاديث. وروت عنه عائشة رضي الله عنها وكثير من التابعين. كان شبيهاً بالنبي ﷺ سماه النبي ﷺ «الحسن»، وعقَّ عنه يوم سابعه، وحلق شعره، وأمر أن يتصدق بزنة شعره.

---

(١) الكامل ٣/ ١٩٧.

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن البراء قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه». وأخرج البخاري عن أبي بكرة قال: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[1].

تسليم الحسن الخلافة إلى معاوية.

في سنة إحدى وأربعين بلغ الحسن أن معاوية سار في أهل الشام إليه، فتجهز هو والجيش الذين كانوا بايعوا علياً على الموت قبل مقتله وعددهم أربعون ألفاً، وسار حتى عسكر بظاهر المدائن، لكن المعسكر عمه الفوضى لدى مقتل أحد القواد حتى انتهبوا سراديق الحسن. فكتب إلى معاوية يراوده على الصلح، فاصطلحا على شروط منها أن لمعاوية الإمامة ما كان حياً، فإذا مات فالأمر للحسن[1].

فلما تم الصلح صعد الحسن إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، إن الله هدى أولكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وكانت لي في رقابكم بيعة، تحاربون من حاربت، وتسالمون من سالمت، وقد سالمت معاوية، وبايعته فبايعوه، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين»[3].

ثم بايع أهل الكوفة معاوية، ولحق الحسن وأهله بالمدينة، وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة. وكانت خلافة الحسن خمسة أشهر ونحو نصف شهر[4].

الأمور الشرعية في عهده

اشتهر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقضي بين

---

(١) انظر: تاريخ الخلفاء ص ١٨٦ ـ ١٨٨، وشذرات الذهب ١/ ٥٥ ـ ٥٦، والكامل ٣/ ٢٢٨.

(٢) انظر: الكامل ٣/ ٢٠٣، والبداية والنهاية ٨/ ١٤ ـ ١٥، وتاريخ الطبري ٦/ ٩٣ ـ ٩٤.

(٣) عن الإمامة والسياسة ١/ ١٤١.

(٤) الكامل ٣/ ٢٠٤.

الناس، حتى اشتهرت عنه بعض الفتاوى في زمن النبي ﷺ. وقد قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أقرؤنا أُبي، **وأقضانا علي**، وإنا لندع من قول أُبي وذاك أن أبياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿**ما ننسخ من آية أو ننسها**﴾[1]. وقال علي عن نفسه: «ما شككت في قضاء بين اثنين حتى جلست مجلسي هذا»[2] وقد ورد عن عائشة أنها كانت تقول: «أعطي علي تسعة أعشار العلم وإنه لأعلمهم بالعشر الباقي»[3].

أهم الوفيات في عهده

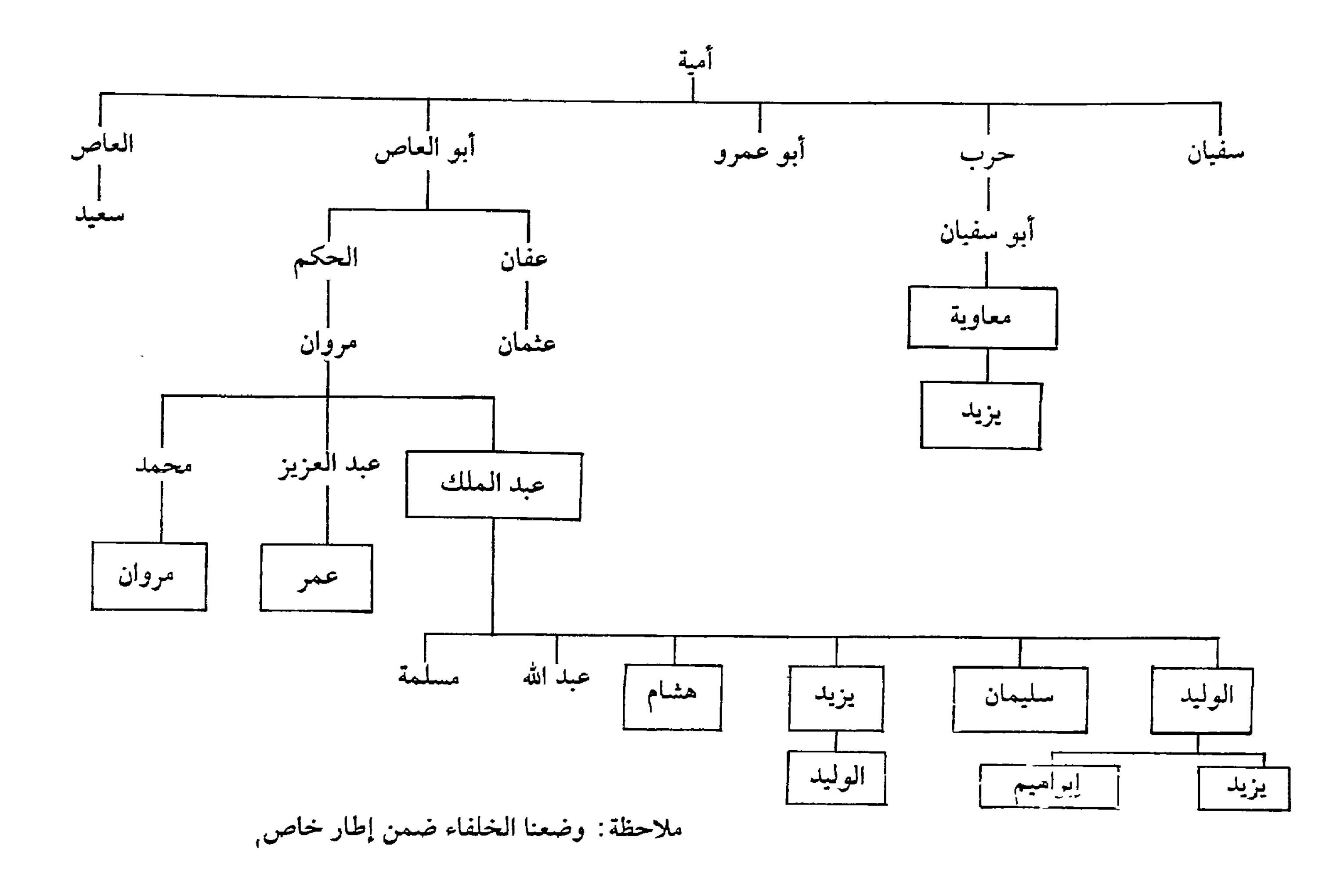
وممن توفي في عهد علي بن أبي طالب الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله ﷺ قتل يوم الجمل. وممن مات سنة سبع وثلاثين عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم أحد كتاب الوحي للنبي ﷺ قتله الخوارج. وقتل في هذه السنة عمار بن ياسر كما قدمنا. وفي سنة ثمان وثلاثين قتل محمد بن أبي بكر الصديق، وتوفيت فيها أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب ثم تزوجها أبو بكر الصديق، ثم تزوجها علي بن أبي طالب.

---

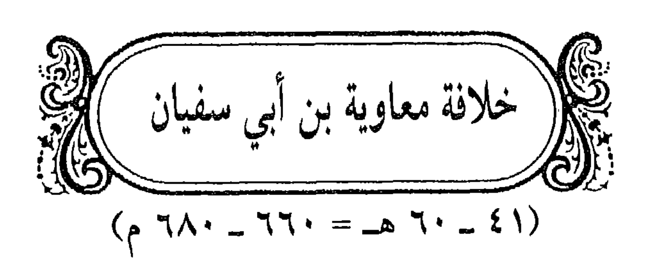
(١) أخرج الحديث البخاري في صحيحه ٦/ ٢٣ ـ ٢٤. وقد ورد الحديث مرفوعاً إلى النبي ﷺ برواية البغوي (انظر فتح الباري ٨/ ١٦٧).

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٢.

(٣) المصدر السابق ص ٤٢.



ملاحظة: وضعنا الخلفاء ضمن إطار خاص.



خلافة معاوية بن أبي سفيان

(٤١ ـ ٦٠ هـ = ٦٦٠ ـ ٦٨٠ م)

نسبه

هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي، أبو عبد الرحمن. وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

حياته وأزواجه وأولاده

أسلم معاوية عام الحديبية وكان يكتم إسلامه من أبي سفيان، حتى دخل رسول الله ﷺ مكة فأظهر إسلامه، وقيل أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة. شهد مع رسول الله ﷺ من الحروب حنيناً والطائف، وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة من الإبل وأربعين أوقية من الذهب وكان من المؤلفة قلوبهم.

كان من الموصوفين بالدهاء والحلم، مهيب الطلعة، بعيد الأناة. أول من اتخذ الحرس من الخلفاء، وأول من اتخذ ديوان الخاتم وحزم الكتب.

أما نساؤه وأولاده. فكان تزوج **فاختة بنت قرظة** فولدت له عبد الرحمن وبه يكنى وعبد الله. وتزوج أختها بعد موتها **كنوة بنت قرظة**. وتزوج **نائلة بنت عمار** الكلبية. وتزوج ميسون **بنت بحدل** فولدت له يزيد وبنتاً سماها أمة رب المشارق.

فضائله

كان معاوية أحد كتاب الوحي للنبي ﷺ، وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين. جاهد وفتح البلاد بعدما تولى الإمارة بعد وفاة أخيه كما أسلفنا في عهد عمر، ثم في عهد عثمان، ثم في عهد علي، حتى استقرت له الخلافة

بعدما صالحه الحسن. يقال كانت إمارته عشرين سنة، وخلافته عشرين سنة[1].

أعماله في خلافته
سنة إحدى وأربعين

الخوارج

سار الخوارج في خمسمائة رجل لقتال معاوية، فأرسل معاوية إليهم جمعاً من أهل الشام، فانهزم أهل الشام. ثم أرسل إليهم جمعاً من أهل الكوفة فهزموهم وقتلوهم وذلك في ربيع الأول.

ثم اجتمع الخوارج مرة أخرى وولوا عليهم حوثرة بن وداع الأسدي، فأخرج إليهم معاوية عبد الله بن عوف الأحمر في ألفين فقاتلهم فقتل حوثرة، وبقي منهم خمسين رجلاً فدخلوا الكوفة، وذلك في جمادى الآخرة[2].

سنة ثنتين وأربعين

فيها غزا المسلمون اللان[3] والروم فقتلوا من أمرائهم وبطارقتهم خلقاً كثيراً.

وفيها ولى معاوية مروان بن الحكم نيابة المدينة، وجعل على مكة خالد بن العاص بن هشام، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى قضائها شريح القاضي وعلى البصرة عبد الله بن عامر، وعلى خراسان قيس بن الهيثم من قبل عبد الله بن عامر[4].

سنة ثلاث وأربعين

فيها غزا بسر بن أرطأة بلاد الروم، وتوغل فيها حتى بلغ القسطنطينية.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ٨/ ١١٤ ـ ١٤٦، والطبقات الكبرى ٧/ ٢٨٥، وتاريخ الخلفاء ص ١٩٤ ـ ٢٠٥، والكامل في التاريخ ٣ج٢٦١ ـ ٢٦٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٣٣ ـ ٤٣٥، وتاريخ الطبري ٦/ ١٨٠ ـ ١٨٣.

(٢) انظر الكامل ٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦، وتاريخ الطبري ٦/ ٩٥ ـ ٩٨، والبداية والنهاية ٨/ ٢٢.

(٣) اللان: بلاد واسعة في طرف أرمينية، قرب باب الأبواب، مجاورة للخزر (معجم البلدان ٥/ ٨ ـ ٩).

(٤) انظر البداية والنهاية ٨/ ٢٤، والكامل ٣/ ٢١٠ ـ ٢١١.

وفيها مات عمرو بن العاص بمصر، فولى معاوية بعده ولده عبد الله، فعمل عليها سنتين.

وفيها اجتمع الخوارج وولوا عليهم المستورد بن علفة التيمي وهم ثلاثمائة رجل، فجهز المغيرة بن شعبة جنداً عليهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف، فهزمهم معقل بعد قتال شديد وقتل المستورد وتشتت شملهم[1].

سنة أربع وأربعين

فيها غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومعه المسلمون، وشتوا هناك.

وفيها عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة، بعد أن ظهر فيها الفساد، وكان رجلاً سهلاً ليناً يريد أن يتألف الناس، وولى عليها الحارث بن عبد الله الأزدي[2].

سنة خمس وأربعين

فيها عزل معاوية الحارث الأزدي عن ولاية البصرة، وولى عليها زياد بن أبيه، ويقال له زياد بن أبي سفيان. واستعمله أيضاً على خراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان، وخافه الناس بعدما أقام أمر السلطان، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي الظاهرة، واستعان بجماعة من الصحابة، فولى عمران بن حصين على قضاء البصرة، وولى سمرة بن جندب وأنس ابن مالك وعبد الرحمن بن سمرة.

سنة سبع وأربعين

فيها وجه زياد بن أبيه الحكم بن عمرو إلى جبال الغور[3] فغزا من بها،

---

(١) انظر: تاريخ الطبري فيه كلام مفصل حول محاربة الخوارج ٦/ ١٠٣ ـ ١٢٠.

(٢) انظر: الكامل ٣/ ٢١٩ ـ ٢٢١، والبداية والنهاية ٨/ ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) جبال الغور: جبال وولاية بين هراة وغزنة، وهي بلاد واسعة باردة موحشة، وهي لا تنطوي على مدينة مشهورة (معجم البلدان ٤/ ٢١٨).

وكانوا ارتدوا فأخذهم بالسيف عنوة. وفي الطريق مات الحكم فوُليّ المهلب بن أبي صفرة، فغزا بعض جبال الترك[1].

سنة تسع وأربعين

فيها سير معاوية جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم، وجعل عليهم سفيان بن عوف، وألحق بهم ابنه يزيد في جيش فيهم عبد الله بن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري، فأوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية. وفيها قتل أبو أيوب الأنصاري ودفن هناك.

وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة في ربيع الأول، وأمَّر سعيد بن العاص عليها.

وفي هذه السنة توفي سبط رسول الله ﷺ وريحانته الحسن بن علي بن أبي طالب، وصلى عليه سعيد بن العاص.

سنة خمسين

في هذه السنة اشتد أمر زياد بن أبيه على الخوارج فقتلهم، وأمر سمرة بن جندب وكان استخلفه على الكوفة، في قتلهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً.

لما أراد معاوية نقل منبر رسول الله ﷺ وعصاه من المدينة إلى الشام، لأن في أهل المدينة من قتل عثمان، فحرك المنبر فكسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية، فأعظم الناس ذلك فتركه.

وفيها عزل معاوية عقبة بن نافع عن افريقية وولى عليها مسلمة بن مخلد.

سنة ثلاث وخمسين

فيها فتحت جزيرة رودوس، على يدي جنادة بن أبي أمية الأزدي، فأقام بها المسلمون يعترضون على الكفار في البحر ويقطعون سبيلهم. وكانوا على حذر من الروم، حيث كانوا يبيتون في حصن عظيم فيه حوائجهم ودوابهم[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ١٢٩ ـ ١٣٠، والكامل ٣/ ٢٢٦.

(٢) البداية والنهاية ٨/ ٦١، والكامل ٣/ ٢٤٤.

سنة أربع وخمسين

فيها فتح جنادة بن أبي أمية جزيرة أرواد، وأقام فيها المسلمون سبع سنين. وكان معهم مجاهد بن جبر.

وفيها استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة، واستعمل عبد الله بن عمرو بن غيلان على البصرة [١]. واستعمل عبيد الله بن زياد بن أبيه على خراسان بعد وفاة زياد. فسار إلى خراسان، فقطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل ففتح رامني ونسف وبيكند، وغنم منهم غنائم كثيرة[٢].

سنة ست وخمسين

البيعة ليزيد بولاية العهد

في هذه السنة أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد بناء على مشورة المغيرة بن شعبة، فبايع له الناس في سائر الأقاليم إلا عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، والحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وابن عباس[٣].

سنة ثمان وخمسين

الخوارج في الكوفة

فيها خرج الخوارج الذين كان المغيرة بن شعبة قد حبسهم، وبايعوا حيان بن ظبيان. وخرجوا إلى نانقيا فسار إليهم الجيش من الكوفة فقتلوهم جميعاً.

الخوارج في البصرة

وفي هذه السنة حبس عبيد الله بن زياد الخوارج الذين كانوا يعيبون السلطان في البصرة، ثم دعاهم وعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً ويخلي سبيل القاتلين، ففعلوا فأطلقهم، وأرادوا التوبة فما عذرهم أصحابهم. ثم قاتلوا شرطة البصرة يريدون الوصول إلى عبيد الله بن زياد فقتل منهم الكثير[٤].

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٦٦ ـ ٦٧، والطبري ٦/ ١٦٤ ـ ١٦٥.
(٢) الكامل ٣/ ٢٤٧.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٥٢.
(٤) المصدر نفسه ٣/ ٢٥٢.

سنة ستين

وفاة معاوية

خطب معاوية قبل مرضه فقال: «إني كزرع مستحصد، وقد طالت إمرتي عليكم حتى مللتكم ومللتموني، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي، ولن يأتيكم بعدي إلا من أنا خير منه، كما أن من قبلي كان خيراً مني. وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقائي، وبارك لي فيه»[1] فلم يمض غير قليل حتى ابتدأ به مرضه، فحذر ابنه من النفر الذين لم يبايعوه، وحذره أشد الحذر من ابن الزبير.

وكان موت معاوية في شهر رجب بدمشق، وكانت مدة خلافته استقلالاً من جمادى سنة إحدى وأربعين حين بايعه الحسن بن علي، تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر. وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة، وقيل خمساً وسبعين سنة وقيل ثمانياً وسبعين سنة[2].

أهم الوفيات في عهده

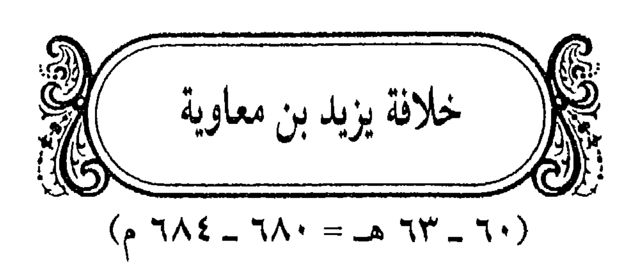
توفي سنة ثلاث وأربعين عمرو بن العاص أحد أهم القواد الكبار في التاريخ الإسلامي وفي سنة أربع وأربعين توفيت أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين. وفي سنة خمس وأربعين توفي زيد بن ثابت الأنصاري أحد كتاب الوحي، وهو الذي كتب المصحف الإمام الذي أرسل إلى الشام في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. وفيها أيضاً توفيت حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين. وفي سنة تسع وأربعين توفي الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سبط رسول الله ﷺ ابن ابنته فاطمة وريحانته وأشبه خلق الله به في وجهه. وفي سنة خمسين توفيت صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين من سلالة هارون عليه السلام. وفي نفس السنة مات دحية بن خليفة الكلبي الصحابي، كان جميل الصورة، وكان جبريل يأتي كثيراً

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٥٩.

(٢) انظر الكامل ٣/ ٢٦٠، والبداية والنهاية ٨/ ١١٥ ـ ١١٦، والطبري ٦/ ١٨٠ ـ ١٨١، وابن خلدون ٣/ ١٨ ـ ١٩، وتاريخ الخلفاء ص ١٩٨.

في صورته. وفيها توفي المغيرة بن شعبة أحد دهاة العرب. وفيها توفيت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث. وفي سنة أربع وخمسين توفي أسامة بن زيد بن حارثة وهو الذي قاد أول حملة بعد وفاة النبي ﷺ. وفي سنة خمس وخمسين توفي الأرقم بن أبي الأرقم صاحب الدار التي كان يأوي إليها رسول الله ﷺ ومن أسلم من قريش حينما كان بمكة. وفيها توفي سعد بن أبي وقاص أحد كبار القواد المسلمين. وفي سنة ثمان وخمسين توفي سعيد بن العاص أحد أمراء عثمان بن عفان ومعاوية. وفيها توفي عبد الرحمن بن أبي بكر شقيق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما. وفيها توفيت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق وزوجة رسول الله ﷺ وأحب أزواجه إليه. وفي سنة تسع وخمسين توفي الحطيئة الشاعر واسمه جرول بن مالك. وفيها توفي أبو هريرة الدوسي أحد كبار الصحابة.



(٦٠ ـ ٦٣ هـ = ٦٨٠ ـ ٦٨٤ م)

نسبه وحياته

هو يزيد بن معاوية أبو خالد الأموي، ولد سنة خمس أو ست وعشرين، وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية. بويع له بالخلافة في حياة أبيه. كان له من الولد معاوية بن يزيد وخالد يكنى أبا هاشم وأبو سفيان وأمهما أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة. وله أيضاً عبد العزيز وكان من أرمى العرب وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر. وله عبد الله الأصغر وأبو بكر وعتبة وعبد الرحمن والربيع ومحمد ويزيد وحرب وعمر وعثمان. وله من البنات عاتكة ورملة وأم عبد الرحمن وأم يزيد وأم محمد.

كان فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك. وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات[1].

أعماله في خلافته

لما تولى يزيد الأمر كان على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص. وعلى البصرة عبيد الله بن زياد. وعلى الكوفة النعمان بن بشير. ولم يكن يهم يزيد إلا أمر بيعة النفر الذين أبوا على معاوية

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام جزء حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٥، وشذرات الذهب ١/ ٧١، والكامل ٣/ ٣١٦ ـ ٣١٨، والبداية والنهاية ٨/ ٢٢٦ ـ ٢٣٧، وتاريخ الخلفاء ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

بيعته. فطلب يزيد من الوليد بن عتبة أن يجبر الحسين وابن الزبير وعبد الله بن عمر على البيعة له. فخرج ابن الزبير إلى مكة ولحق به الحسين. أما ابن عمر فقال إن بايع الناس بايعت[1].

غزو مكة

عزل يزيد الوليد بن عتبة عن المدينة واستعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق، فاستعمل عمرو على شرطته عمرو بن الزبير، وكان بينه وبين أخيه عبد الله بغضاء، فجهز جيشاً في ألفي رجل لغزو عبد الله في مكة، فالتقى بجيش عبد لله بن الزبير فانهزم وتفرق عنه أصحابه، وعظم شأن عبد الله بن الزبير في الحجاز[2].

موقف الحسين

كثر ورود الناس على الحسين في مكة، وكثر ورود الكتب عليه من العراق يدعونه إليهم. فأرسل إلى العراق مسلم بن عقيل ليرى الأمر. فلما دخل الكوفة والتقى بأتباع الحسين، علم بذلك أمير الكوفة النعمان بن بشير فجمعهم وحذرهم من الفرقة والفتنة. فلما علم يزيد بوقفة النعمان الضعيفة أقاله وعهد أمر الكوفة ثانية إلى عبيد الله بن زياد وكان أيضاً على البصرة. ولما دخل عبيد الله الكوفة بث عيناً له لطلب مسلم بن عقيل لكي يقتله، فقتله وبعث برأسه إلى يزيد[3].

مسير الحسين إلى الكوفة

أجمع الحسين أمره للمسير إلى الكوفة رغم نصح الناصحين، وفي الطريق التقى بالفرزدق الشاعر فسأله الخبر، فأجاب الفرزدق: «قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء». ووصل إلى الحسين خبر قتل مسلم بن عقيل، فناشده أصحابه الرجوع، فأبى إلا الإقدام، ثم أتاه خبر مقتل أخيه من الرضاعة، فأخبر أصحابه وقال: قد خذلنا شيعتنا، فمن أحب أن ينصرف فلينصرف، فانصرف الناس عنه إلا من جاء معه من مكة.

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٣/ ١٩ ـ ٢٠، والكامل ٣/ ٦٣ ـ ٦٥، والبداية والنهاية ٨/ ١٤٧ ١٤٨.

(٢) انظر البداية والنهاية ٨/ ١٤٨ ـ ١٤٩، والكامل ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٣) الكامل ٣/ ٢٦٦ ـ ٢٧٥، والبداية والنهاية ٨/ ١٥١ ـ ١٥٧، والطبري ٦/ ١٩٥ ـ ٢١٥.

مقتل الحسين

ودخلت سنة إحدى وستين، فعرض الحسين على عبيد الله بن زياد الصلح فأبى إلاّ النزول على حكمه أو القتال، فاختار الحسين القتال. وفي يوم عاشوراء، وكان منزلهم كربلاء، عبأ عمر بن سعد أمير جيش عبيد الله بن زياد جيشه، وخطب الحسين فيمن معه، ثم وقع القتال، وترامى الناس بالنبل، وكثرت المبارزة يومئذ بين الفريقين، والنصر في ذلك لأصحاب الحسين لقوة بأسهم، وكان الرجل من أصحاب الحسين إذا قتل بان فيهم الخلل لقلتهم. ودافع عن الحسين صناديد أصحابه حتى قتل من أهل البيت علي الأكبر ابن الحسين ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل ثم قتل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر، ثم قتل عبد الرحمن وجعفر ابنا عقيل بن أبي طالب، ثم قتل القاسم بن الحسن بن أبي طالب. ومكث الحسين نهاراً طويلاً وحده لا يأتي أحد إليه إلا رجع عنه لا يحب أن يلي قتله، ثم تكاثر عليه الرجال فقتلوه رضي الله عنه واحتزوا رأسه وأرسلوه إلى ابن زياد الذي أرسله إلى يزيد[1].

سنة ثنتين وستين

أمر أفريقية

أعاد يزيد تولية عقبة بن نافع على أفريقية هذه السنة، فوصل إلى القيروان، وقبض على أميرها وأوثقه في الحديد. ثم سار في عسكر عظيم حتى دخل مدينة **باغايا**[2]، وكان اجتمع فيها كثير من الروم فقاتلوه قتالاً شديداً، ثم انهزموا عنه، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً.

ثم سار إلى أربة[3] فامتنع من بها هناك من الروم وهرب بعضهم إلى الجبال، فقاتل المسلمون من بالمدينة فهزموهم. ثم استعان الروم بالبر فاجتمعوا في جمع

---

(١) انظر الكامل ٣/ ٢٧٩ ـ ٣٠١، والبداية والنهاية ٨/ ١٧٢ ـ ١٩٧، والإمامة والسياسة ٢/ ٣ ـ ٧، وتاريخ الخلفاء ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢١ ـ ٢٢، وتاريخ الطبري ٦/ ٢١٥ ـ ٢٦٧.

(٢) باغايا: مدينة كبيرة في أقصى أفريقية بين مجّانة وقسنطينية (معجم البلدان ١/ ٣٢٥).

(٣) أَرَبَة: اسم مدينة بالمغرب من أعمال الزاب، وهي أكبر مدن الزاب (معجم البلدان ١/ ١٤٠).

كثير واقتتلوا قتالاً شديداً، واشتد الأمر على المسلمين لكثرة العدد، ثم نصرهم الله تعالى وغنموا غنائم كثيرة.

ثم سار عقبة حتى نزل على طنجة فلقيه بطريق من الروم، فأهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه، ثم سأله عن الأندلس فعظم الأمر عليه، فسأله عن البربر فقال: هم كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله وهم بالسوس الأدنى[1]، وهم كفار لم يدخلوا في النصرانية ولهم بأس شديد. فسار نحوهم، فلاقاه البربر في جمع كثير، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وبعث خيله في كل مكان هربوا إليه.

ثم سار حتى وصل إلى السوس الأقصى فلقي البربر في جمع لا يحصى فقاتلهم وهزمهم وغنم منهم وسبى سبياً كثيراً.

ثم سار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط، فقال: يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك، ثم عاد في طريقه فنفر الروم والبربر عن طريقه خوفاً منه[2].

سنة ثلاث وستين

وقعة الحرة

خلع أهل المدينة يزيداً وبايعوا عبد الله بن حنظلة، فاستغاث من بالمدينة من بني أمية بيزيد، فأرسل لهم جيشاً عليهم مسلم بن عقبة المري، وطلب منه استباحة المدينة ثلاثة أيام. فلما وصل مسلم إلى المدينة دعاهم إلى السلم أو المحاربة بعد ثلاث، فاختاروا الحرب. ووقع القتال في الحرة وكان قتال كر وفر حتى قتل عبد الله بن حنظلة وانهزم أصحابه، وكانت وقعة الحرة لليلتين بقيتا من ذي الحجة[3].

---

(١) السوس الأدنى: كورة بالمغرب، مدينتها طنجة، وهناك السوس الأقصى، منها إلى السوس الأدنى مسيرة شهرين (معجم البلدان ٣/ ٢٨١).

(٢) الكامل في التاريخ ٣/ ٣٠٨.

(٣) انظر البداية والنهاية ٨/ ٢١٧ ـ ٢٢١، والكامل٣/ ٣١٠ ـ ٣١٦، وتاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٢٣ ـ ٣٢.

سنة أربع وستين

أمر مكة

لما فرغ مسلم بن عقبة من الحرة، توجه إلى المدينة، واستخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي، وأدرك مسلماً الموت، وعهد بالأمر إلى حصين بن نمير، فقدم إلى مكة لأربع بقين من المحرم، فحاصرها شهر صفر، ورموا ابن الزبير بالمنجنيق، واحترق بيت الله الحرام من شررة من نار أوقدت حول الكعبة. وأقام أهل الشام يحاصرون ابن الزبير حتى بلغهم وفاة يزيد بن أبي سفيان، فخمدت الحرب وانطفأت نار الفتنة[1].

وفاة يزيد

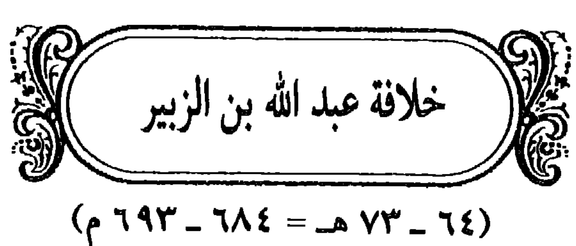
مات يزيد بحوارين من قرى دمشق في الرابع عشر من ربيع الأول، وكانت ولايته بعد أبيه في منتصف رجب سنة ستين. وقيل في سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقزها فعضته وقيل غير ذلك. حمل بعد موته إلى دمشق وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد، ودفن بمقابر باب الصغير.

أهم الوفيات في عهده

في سنة إحدى وستين قتل الحسين رضي الله عنه كما أسلفنا. وفيها توفي شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدري الحجبي صاحب مفتاح الكعبة. وفيها توفيت أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية. وفي سنة ثنتين وستين توفي عقبة بن نافع الفهري بعد فتوحاته في افريقية. وفي سنة أربع وستين قتل النعمان بن بشير أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة للأنصار فحنكه النبي ﷺ وبشر أمه بأنه يعيش حميداً ويقتل شهيداً حيث قتل في حصار مكة.

---

(١) انظر تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٣٣ ـ ٣٤، والبداية والنهاية ٨/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦، والكامل ٣/ ٣١٦، وتاريخ الطبري ٧/ ١٣ ـ ١٥، وأخبار مكة المشرفة ٢/ ١٦٨ ـ ١٧٠.



خلافة عبد الله بن الزبير

(٦٤ ـ ٧٣ هـ = ٦٨٤ ـ ٦٩٣ م)

نسبه

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي، كنيته أبو بكر وقيل أبو خبيب. أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق. وأبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. وأم أبيه صفية عمة النبي ﷺ.

حياته وفضائله

ولد بالمدينة عام الهجرة، وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة، روى الحديث عن رسول الله ﷺ، شهد وقعة اليرموك وغزا القسطنطينية والمغرب، وكان فارس قريش في زمانه. بنى الكعبة في أيام ولايته وكساها الحرير، وكان يطيب الكعبة حتى كان يوجد ريحها من مسافة بعيدة.

كان ابن الزبير عالماً عابداً مهيباً وقوراً كثير الصيام والصلاة، شديد الخشوع، جيد السياسة. روي أنه كان له مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة غير لغة الآخر، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته[1].

الأحداث في زمن ابن الزبير
سنة أربع وستين

في سنة أربع وستين وبعد وفاة يزيد بويع عبد الله بن الزبير بالحجاز، وبويع معاوية بن يزيد بالخلافة بالشام. وبايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد ثم مسحوا

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٤٣٥ ـ ٤٤٧. والبداية والنهاية ٨/ ٣٣٢ ـ ٣٤٥، وتاريخ الخلفاء ص ٢١١ ـ ٢١٤.

أكفهم بالحيطان ورفض أهل الكوفة مبايعته. ثم جاء إلى البصرة سلمة بن ذؤيب الحنظلي ودعا إلى بيعة ابن الزبير فبايعه الناس. واجتمع لابن الزبير البصرة والكوفة. ثم أرسل إلى مصر فبايعوه، ثم إلى اليمن وخراسان وإلى الضحاك بن قيس بالشام فبايعوه جميعاً.

أما معاوية بن يزيد فكان رجلاً مريضاً تولى الأمر فترة قصيرة قيل أربعين يوماً وقيل شهرين وقيل غير ذلك، ثم توفي عن إحدى وعشرين ولم يوص لأحد.

بيعة مروان بن الحكم

وسبب ذلك أن معاوية بن يزيد عزم على بيعة ابن الزبير، وكان قد بايعه زفر بن عبد الله الكلابي بقنسرين، ونائل بن قيس بفلسطين. فلما مات معاوية بن يزيد حاول ابن زياد والحصين بن نمير إقناع مروان بن الحكم أن يتولى الأمر، وحذروه من دخول سلطان ابن الزبير وملكه إلى الشام، فوافقهم على ما أرادوا، فبايعه الناس يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين. فلما تمهد له الأمر سار بمن معه نحو الضحاك بن قيس فالتقيا بمرج راهط، فغلبه مروان وقتله وذلك في ذي الحجة[1].

هدم الكعبة وبناؤها

في هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة بعد أن مال جدارها من رمي المنجنيق. ثم أعاد بناءها على ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يبنيها عليه من الشكل، فأدخل فيها الحجر وجعل لها باباً شرقياً وباباً غربياً، وألصق بابها بالأرض[2].

فتح مروان لمصر

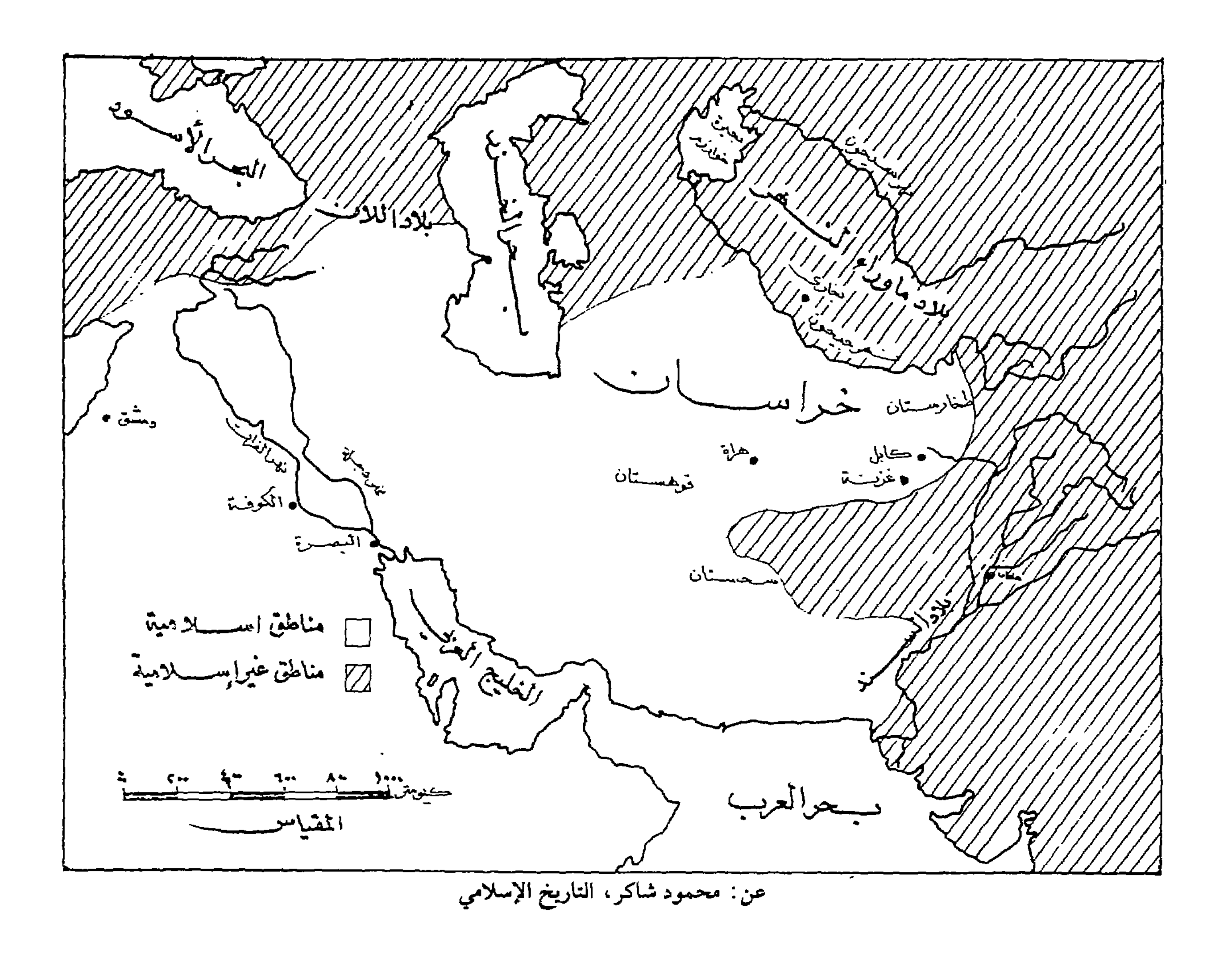
استقرت الشام لمروان، فسار إلى مصر وعليها عبد الرحمن بن جحدم القرشي من قبل ابن الزبير، فهرب ابن جحدم، وبايع الناس مروان ثم رجع إلى دمشق[3].

---

(١) البداية والنهاية ٨/٢٣٩ ـ ٢٤١، والإمامة والسياسة ٢/١٣. وقيل إن بيعته كانت سنة خمس وستين، انظر تاريخ الطبري ٧/ ٣٤.

(٢) انظر البداية والنهاية ٨/ ٢٥٠.

(٣) الكامل ٣/ ٣٣٠، والبداية والنهاية ٨/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦.



عن: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي

أمر التوابين

ندم شيعة الحسين على تركهم نصرته حتى قتل، فاجتمعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤساء الشيعة وهم: سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة، والمسيب ابن نجبة الفزاري، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وأل التيمي، ورفاعة بن شداد البجلي، وكانوا من خيار أصحاب علي، فولوا ابن صرد عليهم واتفقوا على قتل قاتل الحسين، وجمعوا كل ما لديهم من مال لتجهيز جيشهم، وكتبوا إلى شيعة المدائن والبصرة يستنهضوهم فأجابوهم، وكانت بداية دعوتهم سنة إحدى وستين، ثم قويت عزيمتهم بعد موت يزيد، وصاروا يشترون السلاح[1].

سنة خمسة وستين

اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو سبعة عشر ألفاً من الرجال فخرجوا إلى النخيلة بعدما نادى المنادي في الكوفة: «يا ثارات الحسين» ثم خرجوا نحو الشام، لا يتقدمون مرحلة إلاّ تخلف عنهم طائفة من الناس، ثم نزلوا «عين الورد» والتقوا بجيش الشام عليهم الحصين بن نمير في اثني عشر ألفاً، ولما أبى كل فريق المبايعة للآخر اقتتلوا قتالاً شديداً حتى كاد أهل العراق أن ينتصروا فجاء أهل الشام المدد، فأحاط أهل الشام بأهل العراق واقتتلوا قتالاً عظيماً حتى خاضوا في الدماء ثم قتل سليمان بن صرد واستلم الراية بعده أربعة من الرجال كلهم قتل، فلما أخذ الراية رفاعة بن شداد قفل راجعاً بمن معه. وكان يسمى جيش ابن صرد «جيش التوابين»[2].

المختار الثقفي

دعا المختار الثقفي بعد خروجه من مكة الشيعة لنصرته في الكوفة، فأجابوه بعد قتل سليمان بن صرد فاستفحل أمره[3].

---

(١) انظر الكامل ٣/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥، والبداية والنهاية ٨/ ٢٥٢، وتاريخ الطبري ٧/ ٥١ وما بعدها.

(٢) البداية والنهاية ٨/ ٢٥١ ـ ٢٥٥، والكامل ٣/ ٣٤٠ ـ ٣٤٦.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ هـ ص ٤٥ ـ ٤٨، وتاريخ الطبري ٦/ ٥٨ ـ ٦٥.

وفاة مروان بن الحكم

وفي هذه السنة أخذ مروان بن الحكم العهد بالأمر من بعده إلى ولديه عبد الملك ثم من بعده عبد العزيز، وأخذ بيعة الأمراء في ذلك.

وسبب موته أن مروان كان قد تزوج بأم خالد امرأة يزيد بن معاوية، فعابها مروان أمام ابنها خالد، فبيتت له الأمر حتى نام عندها ذات ليلة من ليالي رمضان، فلما أخذه النوم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه وتحاملت عليها هي وجواريها حتى مات. وكانت إمارته تسعة أشهر، وقيل عشرة أشهر[1].

مروان بن الحكم

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو عبد الملك، ابن عم عثمان وكاتبه في خلافته، وأمه آمنة بنت علقمة الكنانية. ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، له رواية في الحديث وروي عنه أيضاً.

فضائله

وصفه بعض الناس بأنه سيد شباب قريش، وكان عثمان بن عفان يكرمه ويعظمه، وهو أحد أسباب مقتله رضي الله عنه. كان فقيهاً يفتي للناس، قارئاً لكتاب الله، شديداً في حدود الله. ولي إمرة المدينة وحج بالناس لمعاوية غير مرة، وبويع بالخلافة بعد معاوية بن يزيد كما أسلفنا، وكان تحت امرته الشام ومصر.

وكانت وفاته خنقاً كما قدمنا عن إحدى وقيل ثلاث وستين سنة، وقيل إحدى وثمانين سنة، وصلى عليه ابنه عبد الملك[2].

ولاية عبد الملك بن مروان

ولما توفي مروان قام بأمر الشام بعده ابنه عبد الملك. وكان بمصر ابنه عبد العزيز الذي دان بالطاعة لأخيه عبد الملك.

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، وتاريخ الطبري ٦/ ٨٣ ـ ٨٥، والإمامة والسياسة ٢/ ١٣ ـ ١٤.

(٢) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٢٢٧ ـ ٢٣٤، والكامل في التاريخ ٣/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٩١ ـ ٩٢، والبداية والنهاية ٨/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠، والإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨.

بقية حوادث سنة خمس وستين

في هذه السنة وقع في البصرة الطاعون الذي يقال له الطاعون الجارف، فهلك به خلق كثير من أهلها[1].

أمر الخوارج

في هذه السنة اشتد أمر الخوارج بالبصرة، وكان رئيسهم نافع بن الأزرق، وكان سبب قوتهم اشتغال أهل البصرة واختلافهم. فاقتتل الخوارج وأهل البصرة في مكان يقال له دولاب من أرض الأهواز فقتل نافع بن الأزرق وقتل أمير أهل البصرة، وكانت الغلبة في النهاية للخوارج فساروا نحو البصرة، فخرج إليهم المهلب بن أبي صفرة، الذي كان ولاه ابن الزبير إمرة خراسان، فلقيهم عند «الجسر الأصغر»[2] فهربوا منه حتى اقتتلوا «بسولاف» قتالاً شديداً صبر فيه الفريقان، ثم انحاز المهلب. ثم اقتتلوا فانهزم أهل البصرة، لكن المهلب أعاد جمعهم، وهاجم الخوارج على حين غرة فقتل أميرهم وشردهم.

ثم عزل ابن الزبير الحرث بن أبي ربيعة أمير البصرة وولى مكانه مصعب بن الزبير، وولى الخوارج عليهم الزبير بن الماحوز[3].

سنة ست وستين

فيها وثب المختار الثقفي على أمير الكوفة فأخرجه عنها وبايعه أهلها، ثم جعل يتتبع قتلة الحسين فيقتلهم، ثم ادعى أنه يأتيه الوحي فسمي المختار الكذاب، فاتفق أهل الكوفة على إخراجه لكذبه، فاقتتلوا في نواحي الكوفة قتالاً شديداً انتصر بعده جيش المختار، وهرب أشراف الكوفة إلى البصرة[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٨٥، والبداية والنهاية ٨/ ٢٦٢.

(٢) أي الذي يوصِّل إلى البصرة.

(٣) تاريخ الطبري ٧/ ٨٥ ـ ٩١، والكامل ٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٢، والبداية والنهاية ٨/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٤) انظر تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٥٠ ـ ٥٣، والبداية والنهاية ٨/ ٢٦٤ ـ ٢٧٠، والكامل ٣/ ٣٥٦ ـ ٣٦٤.

حال محمد ابن الحنفية

دعا ابن الزبير محمد ابن الحنفية إلى بيعته فامتنع. فحصره بزمزم يريد حرقه. فأرسل ابن الحنفية إلى المختار بالأمر، فوجه إليه رجالاً فأنقذوه من ابن الزبير، واستأذنوا ابن الحنفية لقتل ابن الزبير فلم يأذن بذلك. ثم استقر ابن الحنفية بالطائف إلى أن مات ابن الزبير. فطلب الأمان من عبد الملك بن مروان فأمنه، ثم بايعه[1].

* * *

وفي هذه السنة وقع بمصر طاعون هلك فيه خلق كثير من أهلها.
وفيها قام عبد العزيز بن مردان بضرب الدنانير بمصر وهو أول من ضربها في الإسلام.

وفيها ابتدأ عبد الملك بن مروان ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى، وكملت عمارته في سنة ثلاث وسبعين[2].

سنة سبع وستين

مقتل عبيد الله بن زياد

سار إبراهيم بن الأشتر النخعي لمحاربة ابن زياد في ثمانية آلاف من الكوفيين، فالتقى به بمكان يقال له الخازر، فحرض ابن الأشتر جنده على قتال ابن زياد وهو يقول: هذا قاتل ابن بنت رسول الله ﷺ . . . والتقى الفريقان، كان عدد جيش ابن زياد أربعين ألفاً من الشاميين، وكانت الحرب كر وفر، وانحازت ميسرة ابن زياد إلى ابن الأشتر، فانهزم جيش الشام وقتل عبيد الله بن زياد. وأرسل ابن الأشتر البشارة بالنصر إلى المختار.

قتل المختار

طلب أهل الكوفة من مصعب بن الزبير أمير البصرة أن يقاتل المختار،

---

(١) عن الكامل ٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٦.

(٢) انظر تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٥٣، والبداية والنهاية ٨/ ٢٨٠.

(٣) انظر البداية والنهاية ٨/ ٢٨١ ـ ٢٨٣، والكامل ٣/ ٣٧٩ ـ ٣٨٢، وتاريخ الطبري ٧/ ١٤٢ ـ ١٤٦.

فاستعان عليه بالمهلب بن أبي صفرة وكان في بلاد فارس. فقدم المهلب البصرة بجموع كثيرة وأموال عظيمة. فخرج الفريقان وتقابلا في «المذار» فهزم مصعب أصحاب المختار. فلما علم المختار بهزيمة جيشه جهز جيشاً ونزل حروراء، والتحم مع جيش مصعب، وكانت الحرب سجال، حتى حمل المهلب بن أبي صفرة على من بإزائه فهزموا أصحاب المختار، وهرب المختار ومن معه فدخلوا الكوفة، فحاصره جيش مصعب، فخرج لفك الحصار في تسعة عشر رجلاً فقاتل حتى قتل، وقتل مصعب بقية أصحاب المختار. وكان ذلك لأربع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وستين[1].

سنة ثمان وستين

قتال الخوارج

عزل مصعب عن ناحية فارس المهلب وولاه الجزيرة، وولى على فارس عمر بن عبيد الله بن معمر، فثار عليه الخوارج فقتلهم وكسرهم ثم فروا إلى اصطخر فتبعهم فقتل منهم جموعاً عظيمة وقتلوا هم ابنه. ثم هربوا إلى أصبهان فتقووا هنالك وكثر عددهم، ثم ساروا إلى البصرة، فخرج مصعب إليهم، وكان عمر يلحق بهم، فعلموا بذلك فعدلوا إلى المدائن وجعلوا يقتلون الولدان ويبقرون بطون الحبالى. ثم هربوا عندما علموا بمسير أمير الكوفة لقتالهم، وطاردهم حتى نزلوا أرض أصبهان.

ثم قصد الخوارج الري فقتلوا أميرها، ثم حاصروا أصبهان، فقاتلهم عتاب بن ورقاء وفك الحصار عنها بعد قتال شديد. فكتب مصعب إلى المهلب بن أبي صفرة أن يسير لقتال الخوارج، وكان أبصر الناس بقتالهم، فانصرف المهلب إليهم فقاتلهم بالأهواز ثمانية أشهر قتالاً لم يسمع بمثله [2].

* * *

وفي هذه السنة شهد موقف عرفة أربع رايات مختلفة، كل واحدة منها لا

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٩ ـ ٣١، والكامل ٣/ ٣٨٢ ـ ٣٨٧.

(٢) انظر البداية ٨/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤، والكامل ٣/ ٣٨٩ ـ ٣٩٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٦١ ـ ٨٠ ص ٦٣ ـ ٦٤.

تأتم بالأخرى: واحدة لمحمد بن الحنفية في أصحابه، والثانية لنجدة الحروري وأصحابه، والثالثة لبني أمية، والرابعة لعبد الله بن الزبير[1].

سنة تسع وستين

مقتل عمرو الأشدق

خرج عبد الملك بن مروان من دمشق لقتال زفر الكلابي صاحب سليمان بن صرد، واستخلف على دمشق عمرو بن سعيد الأشدق، فتحصن بها عمرو وأخذ أموال بيت المال، فلما علم عبد الملك كر راجعاً، فحاصره وقاتله مدة ستة عشر يوماً، ثم اصطلحا على أن يكون ولي العهد بعد عبد الملك.

ثم إن عبد الملك حاك له مكيدة فقتله بيديه وحز رأسه[2].

الطاعون

وفي أول هذه السنة كان الطاعون الجارف بالبصرة، قيل كان ثلاثة أيام فمات في كل يوم نحو من سبعين ألفاً، وأصبح الناس في اليوم الرابع ولم يبق منهم إلا اليسير.

سنة سبعين

أمر الروم

في هذه السنة ثارت الروم، وزحفوا إلى الشام، واستضعفوهم لما يرون من الاختلاف الواقع بين بني مروان وابن الزبير. فصالح عبد الملك ملك الروم وهادنه على أن يدفع إليه عبد الملك في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على الشام.

سنة إحدى وسبعين

مقتل مصعب بن الزبير وبيعة عبد الملك

في هذه السنة سار عبد الملك بن مروان في كثير من الجنود من الشام قاصداً مصعب بن الزبير، فلما وصل عبد الملك «مسكن» خرج إليه مصعب وقد خذله

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٣١ ـ ٣٣، والبداية والنهاية ٨/ ٣٠٧ ـ ٣١٠.

أهل العراق، لكنه استقتل وعزم على المضي، فتواجه الجيشان «بدير الجاثليق» من مسكن، وكانت الحرب كر وفر، ثم هرب أحد ألوية جيش مصعب إلى عبد الملك، واشتد القتال، فأرسل عبد الملك أخاه إلى مصعب يعطيه الأمان، فأبى. ثم قتل ابنه ثم قتل مصعب، وكان ذلك يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادى الآخرة وكان عمره ستاً وثلاثين سنة.

ثم دعا عبد الملك جند العراق لبيعته فبايعوه، ودخل الكوفة فبايعه أهلها، ثم بايعه المهلب بن أبي صفرة. ثم بعث عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد والياً على البصرة فأخذها من واليها[1].

سنة ثنتين وسبعين

الخوارج

في هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين المهلب بن أبي صفرة وبين الأزارقة من الخوارج بمكان يقال له سولاق.

وفيها أيضر تولى حرب الخوارج في الأهواز عبد العزيز بن عبد الله بأمر من أخيه وال البصرة خالد بن عبد الله، فانهزم عبد العزيز، فأرسل عبد الملك بالمدد وأمره باستشارة المهلب في جميع أموره مع الخوارج. فزحف خالد ومعه المهلب نحو الخوارج فهرب الخوارج منهم، فتبعهم من قبل خالد داود بن قحذم حتى هلكت خيولهم وأصابهم الجوع والجهد، فرجع عامة الجيش مشاة إلى الأهواز.

وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الخارجي فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفي، فبعث خالد بن عبد الله أخاه أمية في جند كثيف فهزمه أبو فديك[2].

---

(١) انظر تاريخ الإسلام حوادث ٦١ ـ ٨٠ ص ٦٩.

(٢) انظر البداية والنهاية ٨/ ٣١٤ ـ ٣١٧، والكامل ٤/ ٩ ـ ١٦، وتاريخ الطبري ٧/ ١٨٤ ـ ١٨٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٦١ ـ ٨٠ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٧، والإمامة والسياسة ٢/ ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) انظر البداية والنهاية ٨/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥، والكامل ٤/ ١٩ ـ ٢٠.

سنة ثلاث وسبعين

مقتل عبد الله بن الزبير

لما قتل عبد الملك مصعباً وأتى الكوفة، وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفي في ثلاثة آلاف لقتال عبد الله بن الزبير، وكتب معه أماناً لابن الزبير ومن معه إن أطاعوا، فسار في جمادى الأولى سنة ثنتين وسبعين ونزل الطائف، وكان يبعث الخيل إلى عرفة، ويبعث ابن الزبير أيضاً فيقتتلون بعرفة فتنهزم خيل ابن الزبير في كل ذلك، وتعود خيل الحجاج بالظفر.

ثم استأذن الحجاج عبد الملك في دخول الحرم وحصر ابن الزبير فأرسل إليه طارق بن عمرو في خمسة آلاف، فقدم طارق المدينة في ذي القعدة سنة ثنتين وسبعين وأخرج عامل ابن الزبير عنها، ثم لحق بالحجاج. فحاصر الحجاج مكة، ونصب المنجنيق على جبل أبي قبيس، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقاً كثيراً، لكن الصواعق التي ضربت بعض الناس جعلت أهل الشام يحجمون عن الرمي بالمنجنيق، فباشر ذلك الحجاج بنفسه، حتى خرج كثير من أهل مكة يريدون الأمان. وأصاب أهل مكة مجاعة شديدة. ثم دخل الحجاج مكة، وصار ابن الزبير يقاتل كأنه أسد ضاري، حتى أصيب بحجر فهجموا عليه فقتلوه وذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة.

وهكذا اجتمع الأمر لعبد الملك بن مروان، واستعمل على الحرمين الحجاج بن يوسف، فأعاد بناء الكعبة على بناء قريش لما أصابها من المنجنيق[1].

قتل أبي فديك

في هذه السنة وجه عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك في البحرين، فقاتله عمر حتى دخل عسكر الخوارج وقتل أبا فديك، وحاصر أصحابه فقتل منهم صبراً نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة[2].

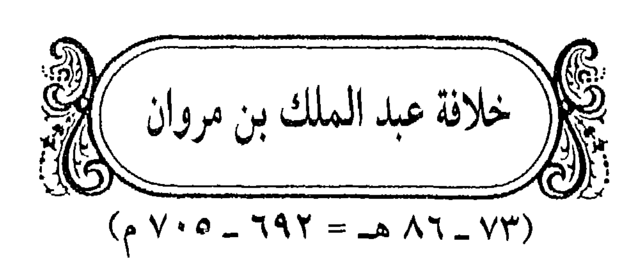
---

(١) انظر تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٣١٠ ـ ٣١٥، والكامل ٤/ ٢١ ـ ٢٧، والبداية والنهاية ٨/ ٣٢٩ ـ ٣٣٢، وتاريخ الطبري ٧/ ٢٠٢ ـ ٢٠٦، والإمامة والسياسة ٢/ ٢٣ ـ ٢٥، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٧ ـ ٤٠.

(٢) الكامل ٤/ ٢٨، وتاريخ الطبري ٧/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

أهم الوفيات في عهد ابن الزبير

قتل سنة سبع وستين عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان أمير العراق بعد أبيه زياد. وفي سنة ثمان وستين توفي عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وابن عم رسول الله ودفن في الطائف. وفي سنة تسع وستين توفي أبو الأسود الدؤلي مؤسس علم النحو. وفيها توفي جابر بن سمرة له صحبة ورواية. وفي سنة إحدى وسبعين توفي سفينة مولى رسول الله ﷺ. وفي سنة ثنتين وسبعين توفي البراء بن عازب الصحابي الجليل، الذي روى الكثير من الأحاديث.



خلافة عبد الملك بن مروان

(٧٣ ـ ٨٦ هـ = ٦٩٢ ـ ٧٠٥ م)

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو الوليد القرشي الأموي، وأمه عائشة بنت معاوية بن أبي العاص، يعد والد الخلفاء الأمويين.

حياته وفضائله

ولد سنة ست وعشرين، وكان قبل الخلافة يجالس الفقهاء والعلماء والعباد والصالحين الملازمين للمسجد التالين للقرآن. روى الحديث عن أبيه وعن جابر وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم، وروى عنه جماعة منهم الزهري. قيل: كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيب وعروة وقبيصة بن ذؤيب وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الإمارة. قال الشعبي: ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فإني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني منه، ولا شعراً إلا زادني فيه. وكان عبد الملك بعدما تولى الأمارة، مقداماً على سفك الدماء، وكان حازماً فهماً فطناً سائساً لأمور الدنيا، لا يكل أمر دنياه إلى غيره. وعبد الملك أول من ضرب الدنانير وكتب عليها القرآن

أزواجه وأولاده

من أزواجه: ولادة بنت العباس بن جزء العبسية، فولدت له: الوليد وسليمان ومروان الأكبر وعائشة. وتزوج عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فولدت له: يزيداً ومروان ومعاوية وأم كلثوم. وتزوج عائشة بنت إسماعيل المخزومية، فولدت له هشاماً. وتزوج عائشة بنت موسى فولدت له أبا بكر واسمه بكار. وتزوج أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان، فولدت له الحكم. وتزوج أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص، فولدت له فاطمة. ومن أولاده عبد الملك والمنذر

ومسلمة وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج لأمهات الأولاد.

قال الثعالبي: كان عبد الملك يقول: ولدت في رمضان، وفطمت في رمضان، وختمت القرآن في رمضان، وبلغت الحلم في رمضان ووليت في رمضان، واتتني الخلافة في رمضان، وأخشى أن أموت في رمضان، فلما دخل شوال وأمن مات[1].

سنة أربع وسبعين

الأزارقة

في هذه السنة ولى عبد الملك بن مروان المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة من الخوارج، وأرفده بوجهاء البصرة والكوفة.

إفريقية

جهز عبد الملك جيشاً عليه حسان بن النعمان الغساني وارسله إلى إفريقية، فلم يدخل إفريقية جيش مثله. فسار حسان من القيروان يريد قرطاجنة، ولم يكن المسلمون قد حاربوها قط. فلما وصل إليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة فحصرهم وقتل منهم كثيراً فهربوا ودخلها حسان.

ثم بلغه أن الروم والبربر اجتمعوا له في صطفورة[2] وبنزرت[3]، فسار إليهم وقاتلهم ولقي منهم شدة وقوة، فصبر لهم المسلمون، فانهزمت الروم، واستولى حسان على بلادهم. وخافه أهل إفريقية.

ثم سار حسان لقتال أعظم ملوك البربر وهي امرأة تعرف بالكاهنة فالتقى بجيشها على نهر نينى، واقتتلوا أشد قتال رآه الناس، فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير. فأقام بعدها حسان ببرقة خمس سنين بانتظار أوامر عبد الملك، وفي

---

(١) انظر ترجمته في الكامل ٤/ ١٠٢ ـ ١٠٤، والبداية والنهاية ٩/ ٦١ ـ ٦٩، وتاريخ الخلفاء ص ٢١٤ ـ ٢٢٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ١٣٥ ـ ١٤٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٢٢٣ ـ ٢٣٥، وتهذيب التهذيب ٦/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣، وشذرات الذهب ١/ ٩٧.

(٢) صطفورة: مدينة في نواحي افريقية (معجم البلدان ٣/ ٤٠٥).

(٣) بنزرت: مدينة بإفريقيا بينها وبين تونس يومان مشرفة على البحر (معجم البلدان ١/ ٤٩٩).

تلك الفترة ملكت الكاهنة إفريقية وأساءت السيرة في أهلها وظلمتهم. ثم جاءت الإمدادات من عبد الملك وتهيأ حسان للمسير إلى إفريقية، فلما علمت الكاهنة بمسيره خَّربت إفريقية وهدّمت الحصون ونهبت الأموال، فدخلها حسان وأهلها على الطاعة، وأطاعه أهل قابس وقفصة وقسطيلية.

ثم سار حسان إلى الكاهنة فالتقى بها وبمن معها فاقتتلوا، واشتد القتال، وكثر القتل، ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلت الكاهنة.

واستأمن البربر حسان بن النعمان فأمنهم، وشرط عليهم أن يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر ألفاً يجاهدون العدو، فأجابوه إلى ذلك، ثم فشا الإسلام في البربر، وأقام حسان في إفريقية لا ينازعه أحد إلى أن توفي عبد الملك(١).

سنة خمس وسبعين

ولاية الحجاج على العراق

في هذه السنة ولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان. فلما دخلها هدد الناس وخوفهم، ثم دعا بالبيعة فبايعه الناس. ثم أمر الرجال بالمسير إلى المهلب بن أبي صفرة لحرب الخوارج(٢).

حرب الخوارج

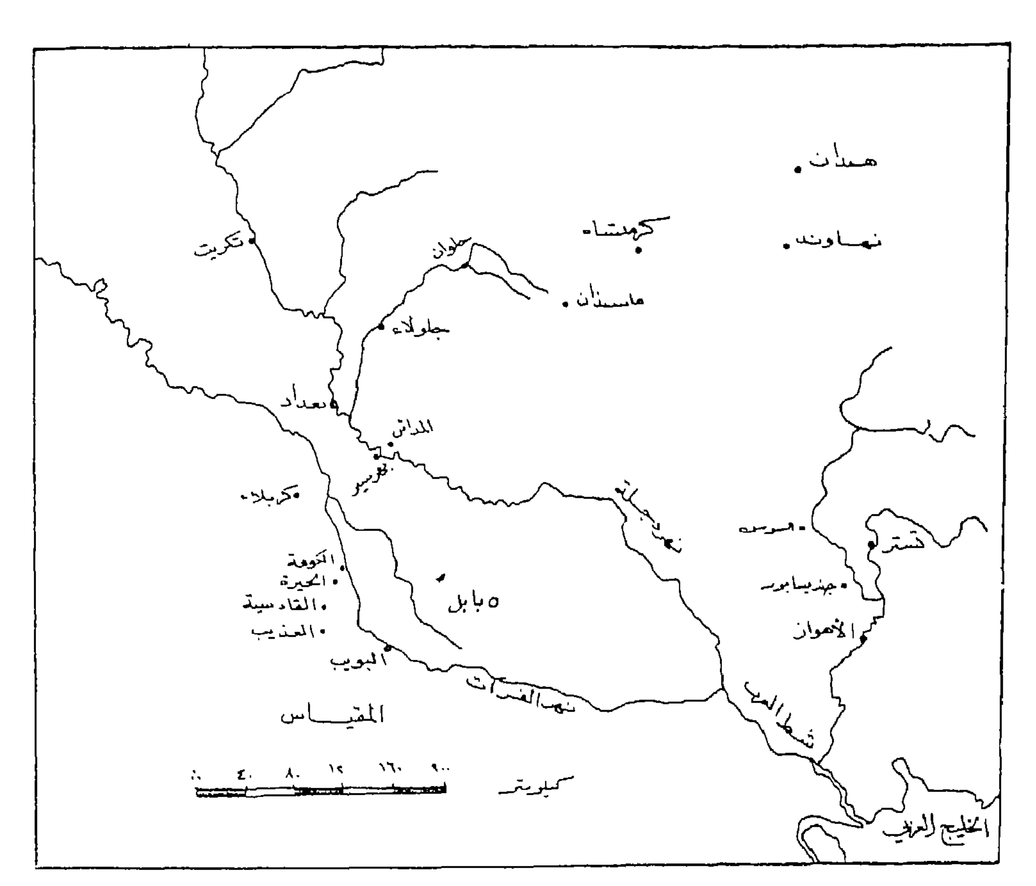
أرسل الحجاج إلى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف بحرب الأزارقة، فنهضا بمن معهما إلى الأزارقة فأجلوهم عن أماكنهم من رامهرمز بايسر قتال. وهربوا إلى إقليم سابور، ولحق المهلب وعبد الرحمن بهم وذلك في رمضان، فوثبوا ليلاً على حين غرة من عبد الرحمن فقاتلوه فقتل عبد الرحمن، فبعث الحجاج بديلاً عنه عتاب بن ورقاء(٣).

---

(١) عن الكامل ٤/ ٣١ ـ ٣٢.

(٢) انظر البداية والنهاية ٩/ ٧ ـ ٩، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤١ ـ ٤٢، والكامل ٤/ ٣٣ ـ ٣٦.

(٣) الكامل ٤/ ٤٠ ـ ٤١، والبداية والنهاية ٩/ ٩ ـ ١٠.



عن: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي

الصفرية

في هذه السنة خرج صالح بن مسرح التميمي، وكان يرى رأي الصفرية، واجتمع معه شبيب بن يزيد وأصحابه، فوثبوا على خيل لمحمد بن مروان فأخذوها، وقويت شوكتهم وأخافوا المسلمين، فغضب محمد بن مروان وبعث إليهم ثلاثة آلاف رجل فتغلبوا على جيش صالح، وهرب الصفرية إلى الجزيرة. فبعث إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة، فقتلوا صالح بن مسرح.

ثم جمع شبيب رجاله وهجم على الكوفة، وقتل بها بعض الناس، فوجه الحجاج لحربه زائدة بن قدامة الثقفي في جيش كبير، فالتقوا بأسفل الفرات، فقتل زائدة. فوجه الحجاج لحربه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فلم يقاتله.

واستفحل أمره، وكان لا يوجه إليه الحجاج أحداً إلا هزمه، وخافه عبد الملك[1].

نقش الدراهم والدنانير

في هذه السنة نقش عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم، ضربها بنصيحة خالد بن يزيد بن معاوية، ذكر على جانب منها «الله أحد» وعلى الوجه الآخر «الله الصمد». وقيل إن أول من ضرب الدراهم والدنانير في الإسلام مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير[2].

سنة سبع وسبعين

الخوارج

وفيها أخرج الحجاج خمسين ألفاً من أهل الكوفة لحرب شبيب، وأمّر عليهم عتاب بن ورقاء، فالتقى بهم شبيب في ألف رجل، فهزمهم وقتل أميرهم، وتوجه شبيب نحو الكوفة.

خرج الحجاج بمن معه من أهل الشام لقتال شبيب، فأقبل شبيب في ستمائة رجل، فالتحم الجيشان، وظهر تفوق أصحاب الحجاج، فهرب شبيب ومن بقي معه، ولحق بهم أصحاب الحجاج فهزموهم وفروا هاربين.

ثم إن شبيباً عاد وحاول دخول الكوفة فيمن بقي له من الجيش، فكان يخرج له الجند فينهزموا ويقتل أميرهم. وسار شبيب في البلاد لايبرز له أحد إلا قتله. وأنفق الحجاج أموالاً كثيرة على الجيوش والعساكر في طلب شبيب فلم يقدروا عليه، حتى شاء الله أن يقتل غرقاً حيث وقع عن فرسه في نهر دجيل فمات[3].

مصر

في هذه السنة امر عبد العزيز بن مروان بتحسين جامع مصر فهدم وزيد فيه من جهاته

---

(١) انظر تاريخ الإسلام حوادث ٦١ ـ ٨٠ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٩، والبداية والنهاية ١٢/٩ ـ ١٥.

(٢) البداية والنهاية ١٤/٤ ـ ١٥، والكامل ٥٣/٤ ـ ٥٤. وانظر غير ذلك في كتاب «النقود العربية وعلم النميات»، رسائل في النقود للبلاذري والمقريزي والذهبي، نشرها الأب انستاس ماري الكرملي، بيروت، محمد أمين دمج، لات.

(٣) انظر البداية والنهاية ١٧/٩ ـ ٢٠، وتاريخ الإسلام حوادث ٦١ ـ ٨٠ ص ٣٣٠ ـ ٣٣٤، والكامل ٥٥/٤ ـ ٦١.

الأربع، وأمر ببناء حصن الاسكندرية، وكان مهدوماً منذ أن فتحها عمرو بن العاص.

سنة ثمان وسبعين

الروم

فيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم فتحوا إرقيلية، فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم وثلج وبرد، فأصيب بسببه ناس كثير.

المغرب

وفيها أمر عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعها، فسار إلى طنجة، وقد جعل على مقدمة جيشه طارق بن زياد، فقتلوا ملوك تلك البلاد، وغنموا المائدة التي يتحدث عنها أهل الكتاب أنها مائدة سليمان عليه السلام[1].

سنة تسع وسبعين

أمر الترك

في هذه السنة امتنع رتبيل ملك الترك عن أداء الخراج، فأمر الحجاج عبيد الله بن أبي بكرة أمير سجستان أن يحاربه، فسار عبيد الله في أهل البصرة وأهل الكوفة، فدخل بلاد الترك وغنم غنائم كثيرة، وهدم حصوناً، وأصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم أرضاً بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم، فحاصرهم الأتراك حتى ظنوا أنهم هلكى، لكنهم صبروا وقاتلوا حتى خرجوا من أرض رتبيل وقد قتل منهم كثيراً[2].

طاعون الشام

في هذه السنة وقع طاعون عظيم بالشام حتى كاد أهلها يفنون من شدته، ولم يغز أحد منهم لضعفهم وقلتهم. ووصلت الروم فيها إلى أنطاكية فأصابوا بعضاً من أهلها.

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢١ ـ ٢٢، وتاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠ ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٢) انظر الكامل ٤/ ٧٢ ـ ٧٣، والبداية والنهاية ٩/ ٢٩ ـ ٣٠، وتاريخ الطبري ٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٣.

سنة ثمانين

في هذه السنة كان السيل الجارف، وهو سيل عظيم جرف كل شيء بمكة المكرمة، حتى بلغ الحجر الأسود، فهلك كثير من الحجاج.

وفي هذه السنة صابر المهلب بن أبي صفرة الأتراك، وأقام بكش سنتين صابراً للأعداء من الأتراك.

قتال رتبيل

بعد عودة عبيد الله بن أبي بكرة من قتال رتبيل، طلب عبد الملك من الحجاج الانتقام لما حصل. فجهز الحجاج أربعين ألف مقاتل، وأمَّر عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فسار ابن الأشعث نحو أرض رتبيل، فلما علم رتبيل بذلك كتب يعتذر من ابن الأشعث لما حصل في العام الفائت وسأله الصلح، فأبى ابن الأشعث، وكان كلما دخل بلداً أو مدينة أو أخذ قلعة استعمل عليها نائباً من جهته يحفظها له، فأخذ كثيراً من بلاد رتبيل، وغنم أموالاً كثيرة. ثم توقف عن التوغل ليستقيم له ما بيده من البلاد على أن يتابع الغزو في العام القابل[1].

سنة إحدى وثمانين

فتنة ابن الأشعث

وسبب هذه الفتنة البغض الواقع بين الحجاج وابن الأشعث، حيث أمر الحجاج ابن الأشعث بمتابعة الفتوحات في بلاد الترك، وهو كان يرى أن ينتظر نهاية الشتاء، وكثرت الخطابات بين الاثنين بكلام جعل بن الأشعث يدعو من معه للمبايعة، فبايعوه وخلعوا الحجاج. فسار ابن الأشعث بمن معه لقتال الحجاج في العراق، وفي الطريق خلعوا أيضاً عبد الملك وبايعوا ابن الأشعث، وبايعهم هو على كتاب الله وسنة رسوله وخلع أئمة الضلال وجهاد الملحدين. فأمد عبد الملك الحجاج بجنود من الشام، والتقى الجندان فانهزم جند الحجاج ودخل ابن الأشعث البصرة، وكان ذلك في ذي الحجة وبايعه أهلها. وكان عدد جند ابن الأشعث ثلاثة

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣١ ـ ٣٢، وتاريخ الطبري ٨/ ٣ ـ ٤، والكامل ٤/ ٧٤ ـ ٧٥.

وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل[1] .

الأندلس

في هذه السنة غزا موسى بن نصير أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بن مروان بلاد الأندلس، ففتح مدناً كثيرة، وأوغل في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى الرقاق المنبثق من البحر المحيط[2] .

سنة ثنتين وثمانين

وقعة الزاوية

في آخر محرم التقى جيش الحجاج بجيوش ابن الأشعث، وبعد قتال شديد فرَّ ابن الأشعث ومن بقي معه فدخل الكوفة، وبايعه أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك، وتفاقم الأمر، وكثر متابعوا ابن الأشعث[3] .

وقعة دير الجماجم

أقبل الحجاج من البصرة فنزل دير قرة، فجهز له ابن الأشعث: عبد الرحمن بن العباس الذي نزل دير الجماجم. واجتمع كثير من الناس على قتال الحجاج لظلمة وسفكه الدماء، فكانوا مائة ألف مقاتل، وجاءت الامدادات من الشام للحجاج، فكانوا كل يوم يقتتلون ويثبت الفريقان. وضاق الأمر على الحجاج، والدائرة لأهل العراق على أهل الشام في أكثر الأيام حتى انسلخت هذه السنة[4] .

* * *

في هذه السنة توفي المهلب بن أبي صفرة غازياً وعمره ستة وستون سنة، وجعل الأمر من بعده لابنه يزيد على خراسان، فأمضى له ذلك الحجاج وعبد الملك.

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣٥ ـ ٣٧، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٥، والكامل ٤/ ٧٧ ـ ٧٩.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٣٧.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨ ـ ٤٩، والبداية والنهاية ٩/٣٩ ـ ٤٠.

(٤) تاريخ ابن خلدون ٣/٤٩ ـ ٥٠، والبداية والنهاية ٩/ ٤٠ ـ ٤٢، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٨ ـ ١١.

وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان أرمينية فهزمهم، ثم سألوه الصلح فصالحم وولى عليهم أبا الشيخ بن عبد الله فغدروا به فقتلوه[1].

سنة ثلاث وثمانين

أمر ابن الأشعث

استهلت هذه السنة وما زال الحجاج بدير قرة وابن الأشعث بدير الجماجم متواقفون للقتال، حتى حمل الحجاج على كتيبة القراء فانتصر عليهم، ثم حمل على ابن الأشعث فانهزم أصحابه وتفرقوا في كل وجه، وهرب ابن الأشعث ومعه قليل من الناس، فاتبعه الحجاج بجيش كثيف، لكنه كان يهرب من بلد إلى آخر وهم وراءه، حتى دخل ابن الأشعث بلاد رتبيل، فأكرمه[2].

* * *

في هذه السنة بنى الحجاج واسطاً، سميت بذلك لأنها وسط بين الكوفة والبصرة.

سنة خمس وثمانين

موت ابن الأشعث

في هذه السنة بعث الحجاج: عمارة بن تميم القيني إلى رتبيل في أمر ابن الأشعث. فغدر رتبيل بابن الأشعث وقيده وسيره إلى الحجاج، وفي الطريق طرح ابن الأشعث نفسه من فوق بنيان فمات[3].

بيعة عبد الملك لولده الوليد

مات عبد العزيز بن مروان بمصر، فأخذ عبد الملك البيعة لابنه الوليد ومن بعده لسليمان.

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٣٠، والكامل ٤/ ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٤٧ ـ ٤٩، والكامل ٤/ ٨٤ ـ ٨٩، وتاريخ الطبري ٧/ ٢١ ـ ٣٠.

(٣) تاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ١٨، والبداية والنهاية ٩/ ٥٥ ـ ن.

سنة ست وثمانين

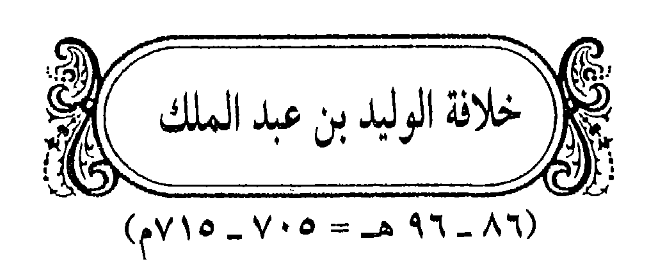
وفاة عبد الملك

في منتصف شوال من هذه السنة توفي خليفة المسلمين عبد الملك بن مروان، وكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر بعد اجتماع الناس عليه وقتل عبد الله بن الزبير. وكان عمره يوم قتل ستين سنة على خلاف في ذلك، ودفن بدمشق بباب الجابية الصغير[1] .

أهم الوفيات في أيامه

وفي سنة أربع وسبعين توفي أبو سعيد الخدري الصحابي الجليل. وفيها توفي عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابي الفقيه المحدث. وفي سنة ثمان وسبعين توفي شريح بن الحارث قاضي الكوفة وقد تولى القضاء لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب. وفي سنة إحدى وثمانين توفي محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية

(١) البداية والنهاية ٩/ ٦٧.



خلافة الوليد بن عبد الملك

(٨٦ ـ ٩٦ هـ = ٧٠٥ ـ ٧١٥م)

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو العباس الأموي، هو أكبر أولاد عبد الملك، وأمه ولادة بنت العباس بن حزن.

حياته

ولد الوليد سنة خمسين للهجرة، وكان أبواه يترفانه، فشب بلا أدب، وكان لا يحسن العربية، وكان طويلاً أسمراً، به أثر جدري خفي، أفطس الأنف، يتبختر في مشيته، وكان جباراً ظالماً، لكنه أقام الجهاد في أيامه، وحصلت في خلافته فتوحات عظيمة، وكان يرتب للأيتام المؤدبين، وللزمنى من يخدمهم، وللأضراء من يقودهم، وعمر المسجد النبوي ووسعه، ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء، وحرَّم عليهم سؤال الناس، وفرض لهم ما يكفيهم. وبنى مسجد دمشق المعروف اليوم بالمسجد الأموي.

بويع بالخلافة أيام أبيه بعهد من أبيه، وجددت له البيعة لما رجع من دفن أبيه، فلم يدخل المنزل حتى صعد المنبر فخطب الناس ودعاهم إلى البيعة فبايعوه. ثم كتب ببيعته إلى الآفاق والأمصار، وإلى الحجاج بالعراق فبايع له الناس ولم يختلف عليه أحد. ثم دخل عليه أخوه سليمان فقال له: يا أمير المؤمنين، إعزل الحجاج بن يوسف عن العراقين فإن الذي أفسد الله به أكثر مما أصلح، فقال له الوليد: إن عبد الملك قد أوصاني به خيراً، فقال سليمان: عزل الحجاج والانتقام منه من طاعة الله، وتركه من معصية الله. فقال الوليد: سنرى في هذا الأمر، وترون إن شاء الله.

أزواجه وأولاده

أما أزواجه، فيروى أن الوليد كان كثير الجماع مطلاقاً، يقال إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة غير الإماء، وقيل ذلك غير صحيح.

كان له من الولد تسعة عشر ولداً ذكراً وهم: عبد العزيز ومحمد والعباس وإبراهيم وتمام وخالد وعبد الرحمن ومبشر ومسرور وأبو عبيدة وصدقة ومنصور ومروان وعنبسة وعمر وروح وبشر ويزيد ويحيى. وممن يعرف من زوجاته أم البنين بنت عمه عبد العزيز، وأم أبي عبيدة فزارية[1].

الحوادث في عهده

سنة سبع وثمانين

في هذه السنة وُلي عمر بن عبد العزيز المدينة المنورة، وله خمس وعشرون سنة، وعُزل عنها هشام بن إسماعيل، فجمع عمر عشرة من فقهاء المدينة وجعلهم مجلس شورى له، حتى لا يحكم إلاّ بما أمر الله.

وفيها غزا قتيبة بن مسلم نواحي بخارى، فغزا بيكند، فكانت هناك وقعة عظيمة هزم الله فيها المشركين، ثم صالحهم واستعمل عليها رجلاً من أقاربه، فقتلوا عامة أصحابه وغدروا به، فرجع قتيبة لحربهم وقاتلهم، ثم افتتحها عنوة، فقتل وسبى وغنم أموالاً عظيمة.

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل منهم خلقاً كثيراً، وفتح حصوناً كثيرة وغنم غنائم جمة[2].

سنة ثمان وثمانين

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الطبري ٨/ ٩٧ ـ ٩٩، وتاريخ الخلفاء ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥، والبداية والنهاية ٩/ ١٦١ ـ ١٦٦، الإمامة والسياسة ٢/ ٤٤ ـ ٤٨، والكامل ٤/ ١٣٧ ـ ١٣٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٤٩٦ ـ ٥٠٠.

(٢) انظر البداية والنهاية ٩/ ٧١ ـ ٧٢، والكامل ٤/ ١٠٧ ـ ١٠٨، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٢٧ ـ ٢٩.

بلاد الروم، وكانت الروم قد جمعت الجموع لحرب المسلمين، فهزم الله الروم، وفتح المسلمون طوانة.

عمارة مسجد النبي ﷺ

في هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في ربيع الأول يأمره بإدخال حُجر أزواج النبي ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ، وأن يزاد فيه من جهاته الأربع، وأن يشتري ما في نواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع، وأن يعطي الناس ثمن الزيادات، شاءوا أم أبوا[١].

سنة تسع وثمانين

غزو السند

استعمل الحجاج بن يوسف محمد بن القاسم بن محمد الثقفي، وسير معه ستة آلاف مقاتل ووجهه إلى السند، ففتح مكران وفنزبور وأرمائيل ثم الديبل التي بنى فيها مسجداً، وجعل لا يمر بمدينة إلا فتحها. ثم سار إلى نهر مهران فبلغ خبره ذاهر ملك السند، فاستعد لمحاربته، فلقيه محمد والمسلمون، وكان معه فيلة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل ذاهر، وانهزم الكفار.

الأندلس

فيها افتتح موسى بن نصير جزيرتي ميورقة ومنورقة، وهما جزيرتان بين جزيرة صقلية والأندلس[٢].

سنة إحدى وتسعين

المغرب

في هذه السنة غزا موسى بن نصير بلاد المغرب، ففتح مدناً كثيرة، وأوغل حتى دخل أراضي قاصية فيها آثار قصور وبيوت وليس بها ساكن[٣].

---

(١) انظر الكامل ٤/١٠٩، والبداية والنهاية ٩/ ٧٥.

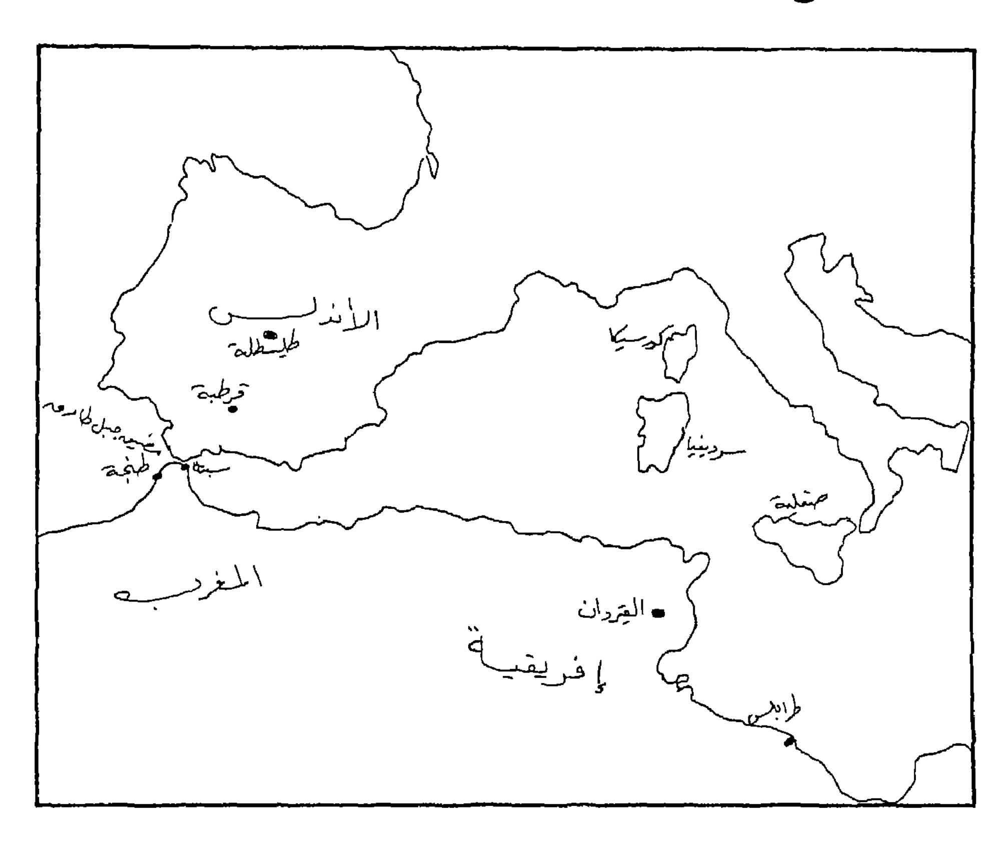
(٢) الكامل ٤/ ١١٠ ـ ١١٣، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) انظر البداية والنهاية ٩/ ٨١.

قتيبة بن مسلم

في هذه السنة سار قتيبة بن مسلم، أمير خراسان، في جمع عظيم إلى «مرو الروذ» فهرب مرزبانها. ثم سار إلى «الطالقان»، فلم يحاربه صاحبها، فكف قتيبة عنه، وقتل لصوصاً كثيرة بها. ثم سار إلى أن وصل «الفارياب»[١] فخرج إليه ملكها سامعاً مطيعاً، فاستعمل عليها عامر بن مالك، ثم دخل بلخ، فأقبل نيزك فعسكر ببغلان، فاقتتل هو وقتيبة أياماً، حتى عمل قتيبة حيلة فجاءه نيزك معتذراً من غير أمان، فتركه أياماً ثم قتله، وقتل سبعمائة من أصحابه.

وفيها فتح قتيبة شومان[٢] وكس[٣] ونسف.



(١) الفارياب: مدينة مشهورة بخراسان، قرب بلخ (معجم البلدان ٤/ ٢٢٩).

(٢) شومان: بالصغانيان من وراء نهر جيحون (معجم البلدان ٣/ ٣٧٣).

(٣) كس: هي الصُّغد، مدينة تقارب السمرقند (معجم البلدان ٤/ ٤٦٠).

سنة ثنتين وتسعين

استأذن موسى بن نصير الوليد لدخول الأندلس، فوافق الوليد على أن يخوض البحر بالموالي فقط. فدعا موسى طارق بن زياد فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم من البربر والموالي، فأبحر فكان وصوله إلى جبل سمي باسمه في رجب سنة ثنتين وتسعين. فلما علم رذريق صاحب الأندلس بغزو المسلمين جمع لهم مائة ألف مقاتل، فأمد موسى طارقاً بخمسة آلاف رجل. فالتقى جيش المسلمين بجيش رذريق على نهر دلكه في آخر أيام رمضان، ودامت الحرب ثمانية أيام، هزم الله بعدها رذريق ومن معه ومات غرقاً، ثم انهزم أهل الأندلس، ولم يلق المسلمون بعدها حرباً مثلها. وتوغل طارق في بلاد الأندلس فاتحاً كثيراً من البلاد.

ولحق موسى بن نصير بطارق، وأقام يفتح في بلاد الأندلس ويجمع الأموال نحو سنتين، فغنم شيئاً لا يحدد ولا يوصف من الجواهر واليواقيت والذهب والفضة[1].

سنة ثلاث وتسعين

فتح سمرقند

حاصر قتيبة بن مسلم الصغد، فكتب أهلها إلى ملك الشاش وخاقان وأخشاد فرغانة يستنجدونهم ويخوفونهم من وصول المسلمين إليهم، فأرسلوا جيشاً لحرب قتيبة، فنصر الله المسلمين عليهم وأخذوا سلاحهم، فلما رأى الصغد ذلك انكسروا وطلبوا الصلح، فصالحهم على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كل عام، وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف فارس، وأن يخلوا المدينة لقتيبة، فيبني فيها مسجداً[2].

---

(١) انظر الكامل ٤/ ١١٩ ـ ١٢٤، والبداية والنهاية ٩/ ٨٣، وتاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٢٥٥، والإمامة والسياسة ٢/ ٦٠ ـ ٦٢.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٢٥٦، والكامل ٤/ ١٢٤ ـ ١٢٥.

الهند

في هذه السنة فتح محمد بن القاسم مدينة الدبيل وغيرها من بلاد الهند، وكان ولاه الحجاج غزو الهند وعمره سبع عشرة سنة، وقتل الملك داهر وغالب جنده[1].

سنة ست وتسعين

الصين

فيها فتح قتيبة بن مسلم كاشغر من أرض الصين، وبعث إلى ملك الصين رسلاً يتهدده، فأرسل ملك الصين بعضاً من أبناء الملوك، وجاءه خبر موت الوليد، ففترت همته على المتابعة، وحدثته نفسه بدعوة الناس لمبايعته لما تحت يده من الجنود والبلاد، فلم يمكنه ذلك، ثم قتل في آخر هذه السنة رحمه الله[2].

الجامع الأموي بدمشق

وفي هذه السنة تكامل بناء الجامع الأموي بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكان أصل موضع هذا الجامع قديماً معبد بنته اليونان الكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق، وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة. ثم حوله النصارى بعد ذلك إلى كنيسة. وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقاً كثيراً من الصناع والمهندسين، فلما كمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه، ولا أبهى ولا أجمل[3].

وفاة الوليد

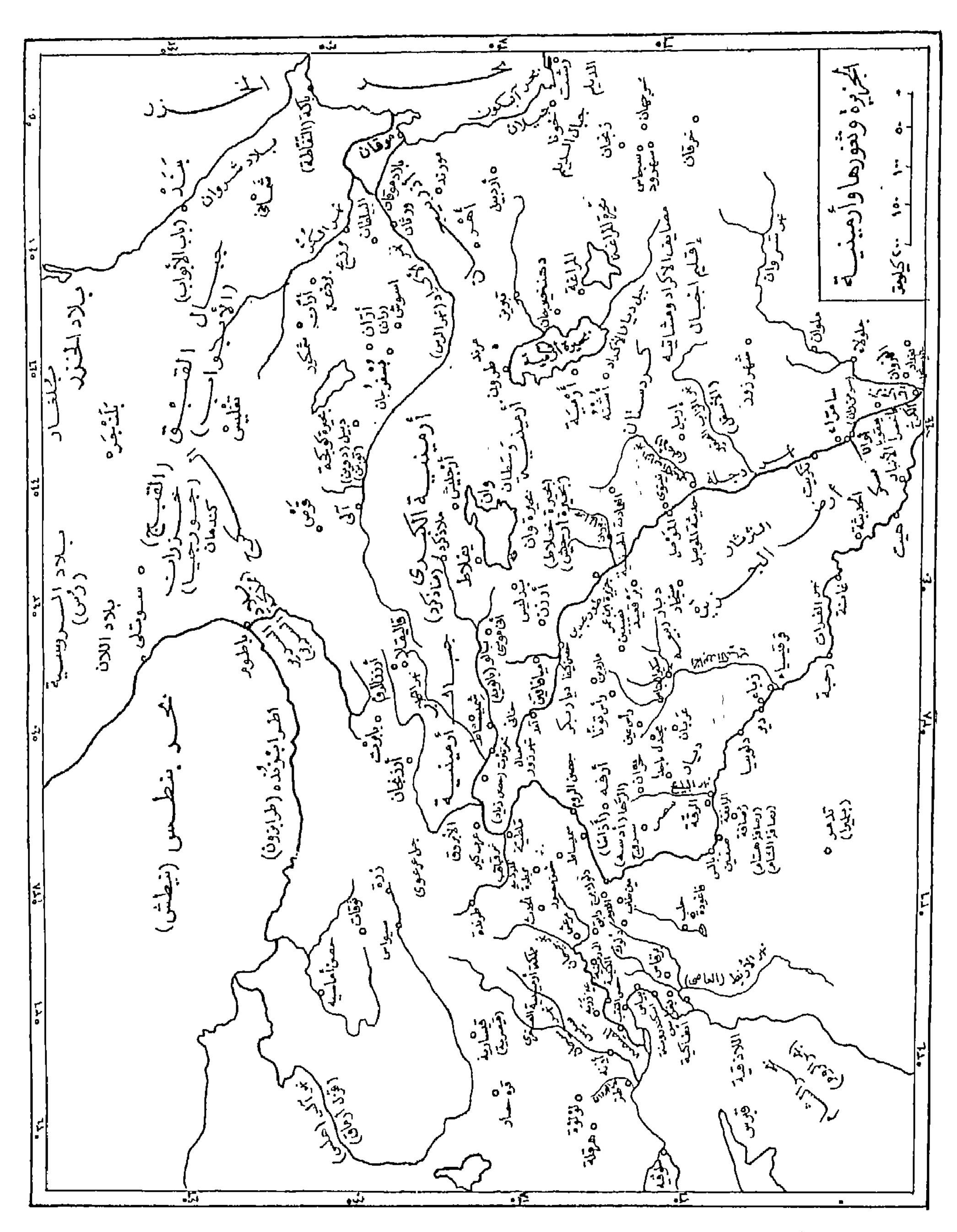
وفي جمادى الآخرة من هذه السنة مات الوليد بن عبد الملك. وكانت خلافته تسع سنين وسبعة أشهر، وكانت وفاته بدير مروان، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز.

---

(١) عن البداية والنهاية ٩/ ٨٧، ثم قال ابن كثير «. . . فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه».

(٢) انظر البداية والنهاية ٩/ ١٤٢ ـ ١٥٣.

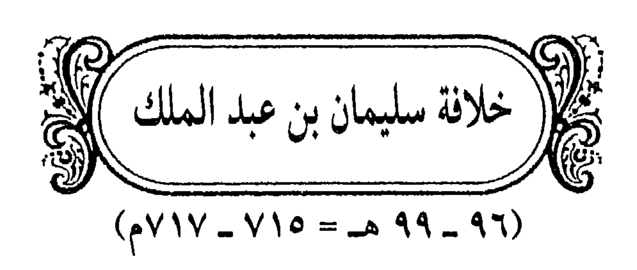
(٣) البداية والنهاية ٩/ ١٤١ ـ ١٤٢، والكامل ٤/ ١٣٥ ـ ١٣٧، وتاريخ الطبري ٨/ ٩٩ ـ ١٠٢.



نقلاً عن: د. ماجد والبنا، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى

أهم الوفيات في عهده

في سنة ثلاث وتسعين توفي خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك. وفيها توفي عمر بن أبي ربيعة الشاعر المشهور بالغزل. وفي سنة أربع وتسعين قتل سعيد بن جبير قتله الحجاج بن يوسف، وهو من أكابر أصحاب ابن عباس. وفيها مات سعيد بن المسيب سيد التابعين والإمام في علم الحديث. وفيها توفي علي بن الحسين زين العابدين. وفي سنة خمس وتسعين توفي الحجاج بن يوسف الثقفي.



خلافة سليمان بن عبد الملك

(٩٦ ـ ٩٩ هـ = ٧١٥ ـ ٧١٧م)

حياته

هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي، أمير المؤمنين، أبو أيوب. ولد سنة ستين للهجرة.

وصفته امرأة فقالت: رأيته أبيض عظيم الوجه مقرون الحاجبين، يضرب شعره منكبيه، ما رأيت أجمل منه.

روى قليلاً عن أبيه وعبد الرحمن بن هبيرة. وروى عنه ابنه عبد الواحد والزهري، وكان فصيحاً مفوهاً، مؤثراً للعدل، محباً للغزو.

كان سليمان ينهى عن الغناء، وكان من الأكلة المشهورين، يقال إنه أكل في مجلس سبعين رمانة، وخروفاً، وست دجاجات، ومكوك زبيب طائفي. ويقال أكل أربعين دجاجة تشوى على النار على صفة الكباب، وأكل أربعاً وثمانين كلوة بشحومها، وثمانين جردقة (رغيفاً).

يعتبر من خيار ملوك بني أمية، فمن محاسنة أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير، فكان يمتثل أوامره في الخير، فعزل عمال الحجاج، وأخرج من كان في سجن العراق، وأحيا الصلاة لأول مواقيتها، وكان بنو أمية قد أماتوها بالتأخير[1].

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٣٧٧ ـ ٣٨٢، وتاريخ الخلفاء ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨، وتاريخ الطبري ٨/ ١٢٧ ـ ١٢٨. وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٧٤ ـ ٧٥.

توليه الخلافة

أراد الوليد أن يخلع أخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز، فأبى سليمان، فكتب إلى عماله ودعا الناس إلى ذلك فلم يجبه إلا الحجاج وقتيبة بن مسلم، وخواص من الناس، فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه فأبطأ، فعزم الوليد على المسير إليه ليخلعه فمات قبل أن يسير إليه[1].

الحوادث في خلافته

سنة سبع وتسعين

المغرب

في هذه السنة بعث سليمان بن عبد الملك على المغرب محمد بن يزيد مولى قريش، فولي سنتين فعدل، ولكنه عسف بآل موسى بن نصير وقبض على ابنه عبد الله بن موسى وسجنه ثم قتله، ثم قتل عبد العزيز بن موسى لكونه خلع طاعة سليمان[2].

سنة ثمان وتسعين

القسطنطينية

في هذه السنة جهز أمير المؤمنين أخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية، وأرسله وراء الجيش الذين هم بها، فسار إليها ومعه جيش عظيم، فلما اجتمع الجيشان طلب منهم أن يزرعوا الأرض من القمح وغيره، وأن يبنوا بيوتاً من خشب، لأنه لن يعود إلا بعد فتح القسطنطينية، فأرسل الروم إليه بالصلح فلم يقبل، فغدر به رجل من النصارى فأحرق طعامهم ثم وقعت بعدها الحرب ولقي المسلمون ما لم يلقه جيش آخر، ودخل الشتاء وسليمان مقيم بدابق، فلم يقدر أن يمدهم حتى مات[3].

بيعة أيوب

في هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من

---

(١) الكامل ٤/١٣٨.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٨١ ـ ١٠٠ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٣) الكامل ٤/١٤٦ ـ ١٤٧، والبداية والنهاية ٩/ ١٥٤ ـ ١٧٥.

بعده، وعدل عن تولية أخيه يزيد، فمات أيوب في حياة أبيه[1].

فتح جرجان وطبرستان

تولى يزيد بن المهلب أمر خراسان، ولم يكن همه إلا فتح جرجان، فسار إليها في مائة ألف من أهل الشام والعراق وخراسان، وكانت يومئذ جرجان جبال وأبواب، فابتدأ بقهستان فحاصرهم يزيد حتى ضعفوا وعجزوا، فطلبوا الصلح فصالحهم على أن يدخل المسلمون المدينة ويأخذوا ما فيها من الأموال والكنوز ما لا يحصى.

ثم تحول يزيد إلى طبرستان، فدخلها في أربعة آلاف جندي، فانهزم أهلها، ولحق بهم المسلمون حتى صعدوا الجبال وصاروا يرمون المسلمين بالحجارة، فانهزم المسلمون، وصالحوا صاحب طبرستان[2].

سنة تسع وتسعين

وفاة سليمان

في هذه السنة توفي أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر بقين من صفر عن خمس وأربعين سنة، وقيل ثلاث وأربعين، مات غازياً حيث أصابته حمى وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر. كان الناس يقولون: «سليمان مفتاح الخير، أذهب الحجاج، وأطلق الأسرى، وأخلى السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز» وهو الذي صلى على جنازته. وكان موته بدابق من أرض قنسرين[3].

أهم الوفيات في عهده

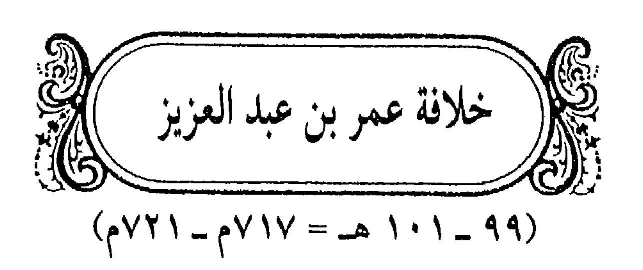
توفي في سنة سبع وتسعين الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكانت زوجته فاطمة بنت الحسين. وفيها أيضاً توفي موسى بن نصير القائد المشهور.

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ١٥٧.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٨/ ١١٨ ـ ١٢٠، والكامل ٤/ ١٤٧ ـ ١٤٩.

(٣) انظر البداية والنهاية ٩/ ١٧٧، والكامل ٤/ ١٥١.



(٩٩ ـ ١٠١ هـ = ٧١٧م ـ ٧٢١م)

نسبه وحياته

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو حفص القرشي الأموي، أمير المؤمنين، اعتبروه خامس الخلفاء الراشدين. وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

كان عمر تابعياً جليلاً، روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله بن سلام، وروى عن خلق من التابعين، وعنه جماعة من التابعين وغيرهم. كان ثقة مأموناً روى له أصحاب الكتب الستة، وله فقه وعلم وورع.

قال الزبير بن بكار: حدثني العتبي قال: إن أول ما استبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب، إن أباه ولي مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه، فأراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام، فقال: يا أبت أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي؟ قال: وما هو؟ قال: ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهائها وأتأدب بآدابهم، فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة، وأرسل معه الخدام، فقعد مع مشايخ قريش، وتجنب شبابهم، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره، فلما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده، وقدمه على كثير منهم، وزوجه بابنته فاطمة، وهي التي يقول الشاعر فيها:

بنت الخليفة والخليفة جدها ... أخت الخلائف والخليفة زوجها

توليه الخلافة

عن رجاء بن حيوة، وكان وزير صدق لبني أمية، قال: استشارني سليمان بن

عبد الملك، وهو مريض، أن يولي له ابناً صغيراً لم يبلغ الحلم، فقلت: إن مما يحفظ الخليفة في قبره أن يولي على المسلمين الرجل الصالح، ثم شاورني في ولاية ابنه داود، فقلت: إنه غائب عنك بالقسطنطينية، ولا تدري أحي هو أو ميت، فقال: من ترى؟ فقلت: ما رأيك يا أمير المؤمنين، قال فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً يحب الخير وأهله، ولكن أتخوف عليه إخوتك أن لا يرضوا بذلك، فقال: هو والله على ذلك. وأشار رجاء أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن العزيز ليرضى بذلك بنو أمية فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز، إني قد وليته الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم عدوكم. وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب الشرطة، فقال له: إجمع أهل بيتي فمرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب مختوماً، فمن أبى منهم فاضرب عنقه. فاجتمعوا ودخل كل رجل منهم فسلموا على أمير المؤمنين، فقال لهم: هذا الكتاب عهدي إليكم، فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا من وليت فيه، فبايعوا لذلك رجلاً رجلاً. قال رجاء: فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: أنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان كتب لي ذلك حتى أستعفيه الآن، قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة، فقلت: والله لا أخبرك حرفاً واحداً . . . فلما مات سليمان . . . جمع الناس في مسجد دابق، فقلت (أي رجاء) بايعوا لمن في هذا الكتاب، فقالوا قد بايعنا، فقلت: بايعوا ثانية، ففعلوا، ثم قلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات، وقرأت الكتاب عليهم، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز تغيرت وجوه بني مروان . . . ونادى هشام لا نبايعه أبداً، فقلت: أضرب عنقك والله، قم فبايع.

ثم قام عمر بن العزيز فخطب الناس خطبة بليغة، فكان مما قال: أيها الناس، إني لست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأنصار والمدن إن أطاعوا كما

أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوال، ثم نزل[1].

الحوادث في خلافته

بقية حوادث سنة تسع وتسعين

أول ما بادر إليه عمر بن عبد العزيز أن بعث إلى مسلمة بن عبد الملك يأمره بالرجوع من القسطنطينية هو ومن معه من المسلمين.

الأمراء

وفيها عزل عمر يزيد بن المهلب عن إمرة العراق، وبعث عدي بن أرطأة الفزاري على إمرة البصرة واستقضى عليهاالحسن البصري، ثم استعفاه فأعفاه. وبعث على إمرة الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، واستقضى عليها عامراً الشعبي. وجعل على إمرة خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي. وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد، وعلى إمرة المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو الذي حج بالناس في هذه السنة. وعزل عن إمرة مصر عبد الملك بن أبي وداعة وولى عليها أيوب بن شرحبيل، وجعل الفتيا إلى جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن أبي جعفر، فهؤلاء الذين كانوا يفتون الناس. واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن عبد الله المخزومي، وأسلم في ولايته في بلاد المغرب خلق كثير من البربر[2].

سنة مائة من الهجرة

ابتداء الدعوة العباسية

في هذه السنة وجه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الدعاة في الآفاق، وذلك بعد أن فوض الأمر له أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ودعى أصحابه لذلك من بعد وفاته[3].

(١) انظر ترجمته في: البداية والنهاية ٩/ ١٩٢ ـ ٢٠٧، والكامل ٤/ ١٥٢ ـ ١٥٧، وتهذيب التهذيب ٧/ ٤٧٥ ـ ٤٧٨، وتاريخ الخلفاء ص ٢٢٨ ـ ٢٣٦، وتاريخ الطبري ٨/ ١٣٧ ـ ١٤٠، وتاريخ الإسلام حوادث سنة ١٠١ ـ ١٢٠ ص ١٨٧ ـ ٢٠٦، وشذرات الذهب ١/ ١١٩ ـ ١٢١.

(٢) عن البداية والنهاية ٩/ ١٨٥.

(٣) الكامل ٤/ ١٥٩، والبداية والنهاية ٩/ ١٨٩.

سنة إحدى ومائة

أمر يزيد بن المهلب

لما عزل أمير المؤمنين عمر يزيد بن المهلب عن إمرة العراق وسيق إليه موثوقاً، فحبسه لعدم أداء يزيد حقوق المسلمين من المال الذي كان يجمعه من العراق وخراسان، فلما دخلت سنة إحدى ومائة هرب يزيد من السجن لعلمه بمرض أمير المؤمنين وخشيته من يزيد بن عبد الملك، (وسيأتي بقية أمره لاحقاً)[1].

وفاة عمر بن عبد العزيز

في هذه السنة توفي عمر بن عبد العزيز في رجب، وكان قد مرض عشرين يوماً. ولما مرض قيل له: «لو تداويت، قال: لو كان دوائي في مسح أذني ما مسحتها، نعم المذهوب إليه ربي». وكان موته بدير سمعان[2]، وقيل بخناصرة[3] ودفن بدير سمعان.

وقيل سبب وفاته إصابته بالسل. وقيل إن سببها أن مولى له سمه وأعطي على ذلك ألف دينار، فحصل له بسبب ذلك مرض، فاستدعى مولاه الذي سمه فقال له: ويحك، ما حملك على ما صنعت؟ فقال: ألف دينار أعطيتها فقال: هاتها، فوضعها في بيت المال، ثم قال له: إذهب حيث لا يراك أحد فتهلك.

وقيل له هؤلاء بنوك - وكانوا اثني عشر - ألا توصي لهم بشيء فإنهم فقراء؟ فقال: ﴿**إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين**﴾[4] والله لا أعطيتهم حق أحد وهم بين رجلين إما صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه، ثم استدعى أولاده فودعهم وعزاهم بهذا[5].

---

(١) الكامل ٤/ ١٦٠ - ١٦١، والبداية والنهاية ٩/ ١٩١ - ١٩٢.

(٢) دير سمعان: هو دير بنواحي دمشق في موضع نزه وبساتين محدقة به وعنده قصور ودور (معجم البلدان ٢/ ٥١٧).

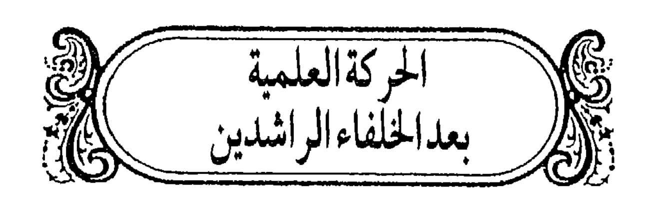
(٣) خناصرة: بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية (معجم البلدان ٢/ ٣٩٠).

(٤) سورة الأعراف آية ١٩٦.

(٥) البداية والنهاية ٩/ ٢٠٩ - ٢١٠، والكامل ٤/ ١٦١.

أهم الوفيات في عهده

من أشهر من مات في زمن عمر بن عبد العزيز: الحسن بن محمد بن الحنفية التابعي الجليل، والفقيه الزاهد مسلم بن يسار، والصحابي المحدث سهل بن حنيف أبو أمامة.



الحركة العلمية بعد الخلفاء الراشدين

أ ـ مميزات هذه الفترة

١ ـ انقسام المسلمين سياسياً، وهذا واضح مما ذكرناه آنفاً، ونخص بالذكر أمر الخوارج بفرقهم المختلفة، وأمر عبد الله بن الزبير وشيعة الحسين ومن بعدهم ابن الأشعث وكلهم كان على خلاف مستحكم مع الخليفة المركزي، أو تحديداً مع الخليفة الأموي.

٢ ـ اتساع رقعة الدولة، حيث بلغت الدولة الإسلامية مدى بعيداً جداً في اتساعها حتى بلغت الصين شرقاً والأندلس والمغرب غرباً.

٣ ـ تفرق علماء المسلمين في البلاد المفتوحة، بعد أن كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمنع القراء والفقهاء من أصحاب الشورى من الخروج من المدينة المنورة، فُسح لهم الأمر بعد عهده باختيار البلاد التي يسكنوها، فكان منهم المعلم ومنهم القارىء ومنهم المجتهد حيث تربى على أيديهم كبار التابعين، فظهر كبار المجتهدين من قضاة وفقهاء ومحدثين ومفسرين، وكان جامعهم الوحيد وحلقة اتصالهم الحج حيث كانوا يلتقون في تلك الفترة بالمدينة ومكة.

٤ ـ دخول كثير من أهالي البلاد المفتوحة في الإسلام، وكان عند كثير من هذه الشعوب ظمأ للعلم، فتعلموا على أيدي الصحابة وكبار التابعين، وأجادوا في العلوم الإسلامية، وبرعوا فيها، وظهر منهم المجتهدون، وكان لهم التأثير البيِّن على الحركة العلمية في تلك الفترة.

ب ـ القرآن

كان القرآن قبل هذه الفترة قد جمع ونسخ ووزع على الأمصار الأساسية، فلم يعد هناك أي اختلاف في قراءة القرآن بوجود المصحف الإمام، ولكن الناس

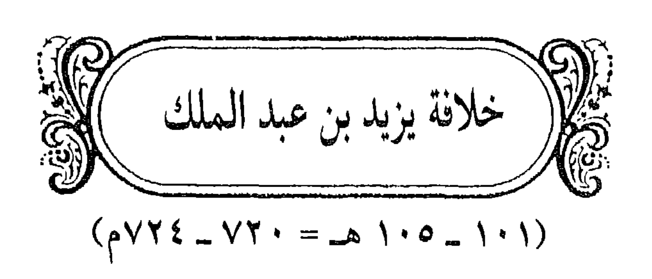
احتاجوا إلى تفسير آيات القرآن، فكانوا يلجأون إلى الصحابة بصفة أساسية، وربما سمعوا منهم أحاديث في تفسير القرآن، وهو ما يسمى التفسير بالمنقول، لذلك اشتغل بعض مجتهدي هذا العصر بالتفسير لحاجة الناس إليه، نذكر من أهم مفسري هذه الفترة عبد الله بن عباس، وسعيد بن جبير التابعي وجابر بن زيد صاحب ابن عباس. وفي عصر التابعين بدأ يظهر التفسير بالإسرائيليات لكثرة من دخل من اليهود والنصارى في الإسلام.

ج ـ الحديث

منع النبي ﷺ أن يكتب حديثه، لكنه أذن لبعض الصحابة بذلك. وفي عهد الخلفاء بقي الرأي على منع تدوين الحديث. أما بعد عهدهم فقد أذن بعض المجتهدين بكتابة الحديث فقالوا: إن النهي عن الكتابة كان وقت نزول القرآن خشية التباس القرآن بالحديث. لكن التدوين للحديث بقي نادراً وغير منظم وبدون قواعد في هذه الفترة، إلى أن تنبه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز لأهمية تدوين الحديث فكتب إلى عامله بالمدينة محمد بن عمرو بن حزم يطلب منه تدوين حديث رسول الله ﷺ. وظهر من كبار علماء الحديث سعيد بن المسيب المخزومي. وعبيدة بن عمرو السلماني المرادي، والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز.

د ـ الفقه

سبق أن قلنا بأن كبار الصحابة كانوا يستعملون رأيهم في استنباط الأحكام التي لا نص فيها، مما جعل بوادر الاجتهاد تظهر في هذه الفترة ويتربى عليها كبار التابعين الذين كانوا يستفتون بوجود بعض الصحابة، نذكر منهم سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير بن العوام، وعلقمة بن قيس النخعي فقيه العراق، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع الهمداني، وشريح بن الحارث الكندي القاضي، وإبراهيم بن يزيد النخعي. ففي هذه الفترة عرضت مسائل لم يكن هناك فيها نص أو فتوى في عهد الخلفاء الراشدين، وذلك لاتساع رقعة البلاد الإسلامية ودخول كثير من الشعوب في الدين الإسلامي، فأكثر المجتهدون من استعمال الرأي والقياس.



خلافة يزيد بن عبد الملك

(١٠١ ـ ١٠٥ هـ = ٧٢٠ ـ ٧٢٤م)

نسبه وحياته

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير المؤمنين، أبو خالد الدمشقي الأموي. أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية.

ولد سنة إحدي أو اثنتين وسبعين. وكان جسيماً أبيض مدور الوجه لم يشب. كان يكثر من مجالس العلماء قبل أن يلي الخلافة، فلما ولي عزم أن يتأسى بعمر بن عبد العزيز، فما تركه قرناء السوء، وحسنوا له الظلم. قال عبد الرحمن بن زيد: لما ولي يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر، فمكث كذلك أربعين ليلة، فأتي بأربعين شيخاً فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب.

كان يزيد على حب شديد لجارية تدعى حبابة، كان اشتراها في زمن أخيه بأربعة آلاف دينار. فبينما هو معها ذات يوم على أسر حال، وبين يديهما عنب يأكلان منه، إذ رماها بحبة عنب وهي تضحك فشرقت بها فماتت، فمكث أياماً يقبلها وهي ميتة حتى أنتنت وجيفت، فأمر بدفنها، فلما دفنها أقام أياماً عندها على قبرها هائماً، ثم رجع إلى المنزل ثم عاد إلى قبرها وهو يقول:

فإن تَسَلُ عنكِ النفسُ أو تدعُ البكا ... فباليأس أسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قائلٌ ... من أجلكِ هذا هامة اليوم أو غدِ

ثم رجع إلى منزله فما خرج إلا على النعش، وكان مرضه بالسل، ومات بإربد بسواد الأردن وذلك لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وكانت خلافته أربع سنين وشهراً.

توليه الخلافة

بويع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة بعهد من أخيه سليمان أن يكون الخليفة بعد عمر بن عبد العزيز، كما قدمنا. وكتب إليه عمر بن عبد العزيز وصية فيها: «أما بعد، فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة ولا تقدر على الرجعة، إنك تترك ما تترك لمن لا يحمدك، وتصير إلى من لا يعذرك، والسلام»[(١)].

الحوادث في عهده

بقية حوادث سنة إحدى ومائة

الخوارج

وفيها كانت وقعة مع الخوارج، وهم أصحاب بسطام الخارجي، وكان عدد الخوارج قليل، وكان جيش الكوفة نحواً من عشرة آلاف فارس. وكادت الخوارج أن تكسر جند الكوفة، لكن سعيد بن عمرو الحرشي قائد جيش الكوفة وبخ أصحابه وأعاد شملهم فطحنوا الخوارج طحناً عظيماً، وقتلوهم عن آخرهم.

يزيد بن المهلب

وفيها خرج يزيد بن المهلب فخلع يزيد بن عبد الملك واستحوذ على البصرة، وذلك بعد محاصرة طويلة وقتال طويل، فلما استولى عليها بسط العدل في أهلها، وبذل الأموال، وحبس عاملها عدي بن أرطأة، لأنه كان قد حبس آل المهلب الذين كانوا بالبصرة، واستقر أمر يزيد بن المهلب على البصرة، وبعث نوابه في النواحي والجهات، واستناب في الأهواز، وأرسل أخاه مدرك بن المهلب على نيابة خراسان، ومعه جماعة من المقاتلة، فلما بلغ أمر ابن المهلب الخليفة جهز ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف رجل، فالتقى بجنود يزيد بن المهلب في مكان يقال له العقر، ودارت الحرب، وقاتل يزيد قتالاً شديداً، ثم تكاثر عليه أهل الشام فقتلوه[(٢)].

(١) انظر ترجمته في: الكامل ٤/ ١٩٠ ـ ١٩٢، وتاريخ الخلفاء ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦، والبداية والنهاية ٩/ ٢٣١ ـ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام حوادث ١٠١ ـ ١٢٠ ص ٢٧٩ ـ ٢٨١، وتاريخ الطبري ٨/ ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) انظر البداية والنهاية ٩/ ٢١٩ ـ ٢٢١، والكامل ٤/ ١٦٨ ـ ١٧٤، وتاريخ الطبري ٨/ ١٤٤ ـ ١٥٩.

سنة ثنتين ومائة

البيعة لهشام

لما وجه يزيد بن عبد الملك الجيوش لمحاربة يزيد بن المهلب، وأشاروا عليه ببيعة من يناسب من أهله لكي يليه في الإمارة، فبايع يزيد: هشام بن عبد الملك، ثم من بعده لابنه الوليد، وبايع الناس[1].

غزو الترك

بعث ملك الترك جيشاً إلى الصغد لقتال المسلمين، وعليهم رجل يقال له كورصول، فأقبلوا حتى حاصروا قصر الباهلي وفيه خلق من المسلمين فصالحهم نائب سمرقند عثمان بن عبد الله بن مطرف على أربعين ألفاً، ثم حث عثمان الناس على قتالهم، فخرج أربعة آلاف عليهم المسيب بن بشر الرياحي، وفي الطريق تخاذل عن المسيب الناس حتى صاروا سبعمائة مقاتل، فقاتل بهم الترك قتالاً شديداً وصبروا حتى فر المشركون هاربين، ثم أخذوا المسلمين من قصر الباهلي وساروا إلى سمرقند[2].

سنة أربع ومائة

فيها غزا الجراح بن عبد الله الحكمي نائب أرمينية وأذربيجان أرض الترك، ففتح «بلنجر» وهزم الترك وأغرقهم وذراريهم في الماء، وفتح عامة الحصون التي تلي بلنجر، وأجلى عامة أهلها، والتقى هو والخاقان الملك فجرت بينهما وقعة هائلة انهزم بعدها ملك الترك[3].

سنة خمس ومائة

وفاة يزيد بن عبد الملك

في هذه السنة توفي يزيد بن عبد الملك لخمس بقين من شعبان، وله أربعون

---

(١) عن الكامل ٤/ ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) انظر الكامل ٤/ ١٧٨ ـ ١٧٩، والبداية والنهاية ٩/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

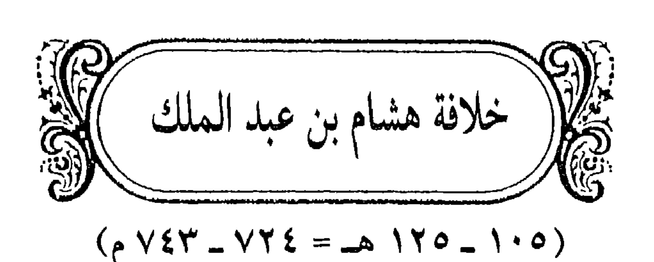
(٣) انظر الكامل ٤/ ١٨٤ ـ ١٨٩، والبداية والنهاية ٩/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، وتاريخ الطبري ٨/ ١٦٨ ـ ١٧٨.

سنة، وقيل خمس وثلاثون سنة، وكانت ولايته أربع سنين وشهراً وأياماً[1].

أهم الوفيات في عهده

وممن مات في خلافة يزيد من المشاهير التابعي المحدث الضحاك بن مزاحم الهلالي، وإمام التابعين والمفسرين مجاهد بن جبير المكي أبو الحجاج القرشي المخزومي.

(١) الكامل ٤/ ١٩٠، والبداية والنهاية ٩/ ٢٣١.



خلافة هشام بن عبد الملك

(١٠٥ ـ ١٢٥ هـ = ٧٢٤ ـ ٧٤٣ م)

نسبه وحياته

هوهشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي. وأمه فاطمة[1] بنت هشام بن اسماعيل المخزومي.

ولد سنة ٧٢ هـ، وكان جميلاً أبيض أحول يخضب بالسواد، كان في خلافته حازم الرأي جماعاً للأموال بخيلاً، وكان ذكياً مدبراً، له بصر بالأمور جليلها وحقيرها، وكان فيه حلم واناة. شتم مرة رجلاً من الأشراف، فقال له: أتشتمني وأنت خليفة الله في الأرض؟ فاستحيا وقال: اقتص مني بدلها، فقال: إذاً أكون سفيهاً مثلك، قال فخذ عوضاً، قال: لا أفعل، قال: فاتركها لله، قال هي لله ثم لك، فقال هشام عند ذلك، والله لا أعود إلى مثلها.

قال الشافعي: لما بنى هشام الرصافة بقنسرين أحب أن يخلو يوماً لا يأتيه فيه غم، فما انتصف النهار حتى أتته ريشة بدم من بعض الثغور، فأوصلت إليه، فقال: ولا يوماً واحداً.

توليه الخلافة

استخلف هشام بعد وفاة أخيه يزيد، وبعهد منه كما قدمنا، وذلك لأربع بقين من شعبان عام ١٠٥ هـ، وعمره آنذاك أربعة وثلاثون عاماً، استخلف تسع عشرة

---

(١) وقيل عائشة، انظر الكامل ٤/ ١٩٢.

سنة وسبعة أشهر، وهو الخليفة الرابع من أبناء عبد الملك بن مروان[١].

الحوادث في عهده
سنة سبع ومائة

السند

في هذه السنة استعمل خالد القسري الجنيد بن عبد الرحمن على السند، فنزل شط مهران، فمنعه جيشبة بن ذاهر من العبور وقال: إننا مسلمون، فقد استعملني الرجل الصالح - يعني عمر بن عبد العزيز - على بلادي، ولست آمنك، فأعطاه رهناً، وأخذ منه رهناً بما على بلاده من الخراج، ثم إنهما ترادا الرهن وكَفَرَ جيشبة وحاربه الجنيد، وأخذ جيشبة أسيراً ثم قتله[٢].

الأندلس

في هذه السنة غزا عنبسة بن سحيم الكلبي عامل الأندلس غربي أوروبا في جمع كثير، ونازل مدينة «قرقسونة» فصالحه أهلها على نصف أعمالها، وعلى جميع ما في المدينة من أسرى المسلمين وأسلابهم، وأن يعطوه الجزية، وأن يلتزموا بأحكام أهل الذمة من محاربة من حاربه المسلمون ومسالمة من سالموه، وبعد أن عاد عنبسة مات في شعبان[٣].

غرشستان[٤]

وفيها غزا أسد بن عبد الله القسري متولي خراسان بلاد غرشستان، فانكسر المسلمون واستشهدت طائفة، ورجع الجيش مجهودين جائعين[٥].

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام حوادث ١٢١ - ١٤٠ ص ٢٨٢ - ٢٨٤، والبداية والنهاية ٩/ ٣٥١ - ٣٥٣، شذرات الذهب ١/ ١٦٣، والكامل ٤/ ٢٥٤ - ٢٥٦.

(٢) الكامل ٤/ ١٩٧.

(٣) المصدر السابق ٤/ ١٩٧.

(٤) ولاية تقع هراة في غربيها، والغور في شرقيها، ومرو الروذ في شماليها، وغزنة في جنوبها (معجم البلدان ٤/ ١٩٣).

(٥) تاريخ الإسلام حوادث ١٠١ - ١٢٠ ص ١٦.

سنة ثمان ومائة

وفيها زحف خاقان إلى أذربيجان وحاصر مدينة ورثان ورماها بالمناجيق، فسار إليه أمير تلك الناحية الحارث بن عمرو نائب مسلمة بن عبد الملك، فالتقى مع خاقان ملك الترك فهزمه، وقتل من جيشه خلق كثير[١].

سنة عشر ومائة

إسلام أهل سمرقند

في هذه السنة دعا أشرس بن عبد الله السلمي نائب خراسان أهل الذمة بسمرقند ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام، ويضع عنهم الجزية، فأجابوه إلى ذلك، وأسلم غالبهم، ثم طالبهم بالجزية، فحاربوه وقاتلوه[٢].

سنة ثنتي عشرة ومائة

الخزر والترك

في هذه السنة اجتمع الخزر والترك من ناحية اللان[٣] لقتال المسلمين، فلقيهم الجراح بن عبد الله الحكمي مع أهل الشام، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر الفريقان، واستشهد الجراح وكثير ممن كان معه بمرج أردبيل، فطمع الخزر وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل. فبعث هشام بن عبد الملك سعيداً الحرشي لقتال الخزر والترك، فكان لا يمر بمدينة إلا ويستنهض أهلها فيجيبه من يريد الجهاد، حتى التقى بأصحاب الجراح وساروا معه، فالتقى بالخزر ليلاً وهم نيام، فهاجمهم مع الفجر، فما بزغت الشمس حتى قتلوا جميعاً غير رجل واحد. ثم سار الحرشي إلى الخزر المجتمعين في مكان آخر فباغتهم وقتلهم.

ثم حث ابن ملك الخزر الجنود على معاودة القتال، فاجتمع معه عساكر كثيرة، فسار الحرشي إليه، فالتقيا بأرض برزند، وصبر المسلمون حتى ولى الخزر الأدبار منهزمين. ثم تتابعت حملات الخزر وكانوا ينكسرون في كل مرة[٤].

---

(١) البداية والنهاية ٩/٢٥٦، والكامل ٤/١٩٩.

(٢) البداية والنهاية ٩/٢٥٩.

(٣) اللان: بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للخزر.

(٤) انظر تاريخ ابن خلدون ٣/٨٩ ـ ٩٠، والكامل ٤/٢٠٧ ـ ٢٠٨، والبداية والنهاية ٩/٣٠٣ ـ ٣٠٤.

سنة ثلاثة عشرة ومائة

الروم

فيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش[1]. وقيل كانت فيها وقعة عظيمة هائلة بأرض الروم، انكسر فيها المسلمون، وكانوا ثمانية آلاف رجل، وكان عليهم مالك بن شبيب الباهلي فاستشهد، واستشهد البطال الذي تضرب الأمثال بشجاعته[2].

دعاة بني العباس

وفيها صار جماعة من دعاة بني العباس إلى خراسان وانتشروا فيها، وقد أخذ أميرهم رجلاً منها فقتله وتوعد غيره بمثل ذلك.

سنة سبع عشرة ومائة

بلاد اللان

في هذه السنة بعث مروان بن محمد (المسمى بالحمار) وهو على أرمينية بعثين، ففتح حصوناً في بلاد اللان، ونزل كثير منهم على الإيمان[3]

الترك

وفيها جاشت الترك بخراسان ومعهم الحارث بن سريج وعليهم الخاقان الكبير، فعاثوا وأفسدوا، ووصلوا إلى مرو الروذ، فسار أسد القسري فالتقاهم فهزمهم، وكانت وقعة هائلة قتل فيها من الترك خلائق كثيرة[4].

المغرب والأندلس

استخلف عبيد الله بن الحبحاب على مصر ولده وسار إلى إفريقية، وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازياً إلى المغرب فبلغ السوس فلم يقاتله أحد إلا تغلب عليه، وأصاب من الغنائم والسبي أمراً عظيماً، فهابه أهل المغرب.

---

(١) مرعش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق (معجم البلدان ٥/ ١٠٧).

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٣٠٤، وتاريخ الإسلام حوادث ١٠١ ـ ١٢٠ ص ٣٠٨.

(٣) البداية والنهاية ٩/ ٣١٣.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث سنة ١٠١ ـ ١٢٠ ص ٣١٤.

وظهر في تلك الأثناء جماعة بإفريقية فأظهروا مقالة الخوارج عليهم ميسرة السقاء، فوجه إليهم الحبحاب: حبيب بن أبي عبيدة، فاقتتلوا في ضواحي طنجة قتالاً شديداً، وعاد ميسرة إلى طنجة، فأنكرت البربر سيرته فقتلوه وولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي، فالتقى بخالد بن حبيب بن أبي عبيدة فانكسر المسلمون وصبروا حتى قتلوا جميعاً، وسميت غزوة الأشراف.

ولما بلغ الأمر هشام بن عبد الملك سير جيشاً كثيفاً جداً عليه كلثوم بن عياض القشري وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائة فالتقى بالبربر قريب من طنجة فانهزم الخيل أولاً، ثم انهزم جيش المسلمين وقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة، ومضى أهل الشام إلى الأندلس وعليهم بلج بن بشر.

فلما علم هشام بالأمر بعث أميراً على إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي فوصلها في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة، فلم يمكث بالقيروان إلا يسيراً حتى زحف إليه عكاشة الخارجي[1] في جمع عظيم من البربر فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم عكاشة، وقتل من البربر ما لا يحصى.

وعاد حنظلة إلى القيروان وسير أربعين ألفاً من جيش كثيف إلى عبد الواحد بن يزيد صاحب عكاشة، فلما قاربوه لم يجدوا شعيراً يعلفونه دوابهم فأطعموها حنطة، ثم لقوا عبد الواحد من الغد فانهزموا وعادوا إلى القيروان، وهلكت دوابهم بسبب الحنطة.

وسار عبد الواحد فنزل على ثلاثة أميال من القيروان بمكان يعرف بالأصنام وقد اجتمع معه ثلاثمائة ألف مقاتل، فحشد حنظلة كل من بالقيروان وفرق فيهم السلاح والمال فكثر جمعه، وتقابل الجمعان، وحرض العلماء والنساء على الجهاد، وثبت الفريقان، ثم هزمت الخوارج والبربر، ونصر الله المسلمين، وكان عدد قتلى الخوارج مائة وثمانين ألفاً[2].

---

(١) كان على رأي الخوارج الصفرية.

(٢) عن الكامل ٤/ ٢٢٢ ـ ٢٢٤.

سنة ثماني عشرة ومائة

دعاة بني العباس

في هذه السنة وجه بكير بن ماهان: عمار بن يزيد إلى خراسان أميراً على شيعة بني العباس، فنزل مرو وغير اسمه وتسمى باسم خداش، ودعا إلى مبايعة محمد بن علي، فسارع إليه الناس وأطاعوه، ثم غير ما دعاهم إليه وأظهر دين الخرمية[1]، ورخص لبعضهم في نساء بعض، فبلغ خبره أسد بن عبد الله فقطع لسانه وسمل عينيه ثم قتله وصلبه بآمل[2].

سنة تسع عشرة ومائة

قتل ملك الترك

في هذه السنة سار أمير خراسان أسد بن عبد الله القسري بجيوشه إلى مدينة خُتَّل[3] ففتحها، وتفرقت في أرضها جنوده يقتلون ويأسرون ويغنمون، فاغتنم خاقان فرصة تفرق جنود المسلمين، فقصد بجنوده أسداً، وجمع أسد جنده وسار نحو خاقان، فتواجه الجيشان في يوم عيد الفطر فانهزم خاقان.

ثم سار أسد بمن معه حتى نزل مرج بلخ حتى انقضى الشتاء، فسار إلى الخاقان، وتقاتل الجيشان، فقتل المسلمون منهم خلقاً وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه، وهرب الترك ولحق بهم أسد حتى قتل خاقان، فتفرقت الأتراك بعد ذلك[4].

الخوارج

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ولقبه كثارة ومعه دون المائة من الرجال يريد قتل خالد القسري، فبعث إليهم خالد بالجيوش فكان يهزم جيشاً تلو الآخر، واستفحل أمر بهلول وعزموا على المسير إلى أمير المؤمنين لقتله

---

(١) الخرمية: هم أصحاب التناسخ والحلول والإباحة.

(٢) الكامل ٤/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٣) ختَّل: كورة واسعة كثيرة المدن خلف جيحون، وهي على تخوم السند (معجم البلدان ٢/ ٣٤٦).

(٤) عن البداية والنهاية ٩/ ٣٢١ ـ ٣٢٣، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٣١ ـ ٢٤٠، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٩٣ ـ ٩٦.

بالشام، فوجه إليهم خالد جنداً من العراق، وسير عامل الجزيرة جنداً من الجزيرة، ووجه هشام جنداً من الشام، واجتمعت الجيوش بدير بين الجزيرة والموصل، وأقبل بهلول إليهم وقاتلهم قتالاً شديداً، فقتل كثير من أصحاب بهلول وطعن بهلول فولى عليهم دعامة الشيباني، فإن هلك فعمرو اليشكري، فلما مات بهلول هرب دعامة، ثم قتل اليشكري، وأبيدوا عن آخرهم[1].

سنة عشرين ومائة

أمر بني العباس

في هذه السنة وجهت شيعة بني العباس بخراسان سليمان بن كثير إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس لعلمه أمرهم بعد الذي حدث مع خداش، حيث ترك محمد مكاتبتهم ومراسلتهم لاتباعهم خداش الكذاب، فأعلمهم محمد بغضبه عليهم وأنهم عصاة[2].

سنة إحدى وعشرين ومائة

أمر زيد بن علي

التف على زيد بن علي بن الحسين أربعون ألفاً من أهل العراق، بايعوه ضد أمير المؤمنين، واستمر يبايع في الباطن على كتاب الله وسنة رسوله حتى استفحل أمره، وما زال كذلك حتى دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة، وفيها أمر زيد أتباعه بالخروج والتأهب، فعلم أمير العراق يوسف بن عمر بخروجهم، فأمر نائبه على الكوفة الحكم بن الصلت بجمع الناس في المسجد فجمعهم وحصر أصحاب زيد، ثم حضر يوسف بن عمر فقاتل أصحاب زيد، وكان كر وفر، حتى أصاب زيد بن علي سهم في جبهته فوصل إلى دماغه فمات، وانتشر أصحابه حيث لم يبق لهم رأس يقاتلون معه[3].

---

(١) الكامل ٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٢، والبداية والنهاية ٩/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٣٢٦، والكامل ٤/ ٢٣٥.

(٣) انظر البداية والنهاية ٩/ ٣٢٩ ـ ٣٣١، والكامل ٤/ ٣٤٥ ـ ٣٤٨، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٩٨ ـ ١٠٠، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٧٢ ـ ٢٧٨.

سنة أربع وعشرين ومائة

ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني

قدم جماعة من دعاة بني العباس من خراسان يريدون مكة فمروا بالكوفة، فبلغهم أن في السجن جماعة من الأمراء من دعاة بني العباس قد حبسهم يوسف بن عمر فيهم أبو مسلم الخراساني في خدمة أحد السجناء، فاجتمعوا بهم بالسجن، ودعوهم إلى بيعة بني العباس، فوجدوهم على ذلك، ثم اشترى بكر بن ماهان أبا مسلم الخراساني من سيده بأربعمائة درهم وخرجوا به معهم، وندبوه للدعوة لبني العباس، فكانوا لا يوجهونه إلى مكان إلا ذهب ونتج ما يوجهونه إليه[1].

سنة خمس وعشرين ومائة

فيها مات أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بالرصافة لست خلون من شهر ربيع الآخر، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وواحداً وعشرين يوماً. وكانت وفاته بالذبحة[2].

من مات في خلافته من الأعلام

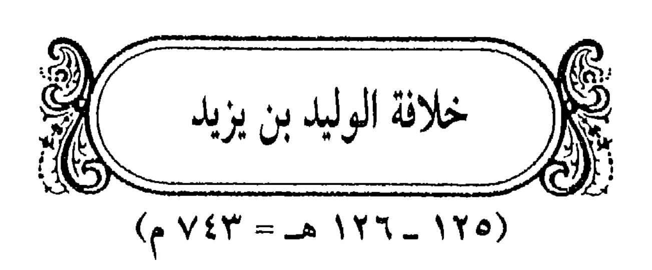
وممن مات في خلافة هشام بن عبد الملك من الأعلام طاووس بن كيسان اليماني أحد أكبر أصحاب ابن عباس، جمع العبادة والزهادة والعلم النافع والعمل الصالح. وسليمان بن يسار أحد التابعين المحدثين. وممن مات أيضاً كُثَيِّر عزة الشاعر المشهور. ومحمد بن كعب القرظي التابعي المفسر العابد. وجرير بن الخطفي الشاعر المشهور، والفرزدق همام بن غالب الشاعر المشهور أيضاً. ومحمد بن سيرين العالم الذي اشتهر بتعبير الرؤيا. والحسن البصري أحد الأئمة الفقهاء المشهورين بالعلم والعمل. ووهب بن منبه الذي اشتهر بمعرفته بكتب الأوائل، وشهر بن حوشب التابعي المحدث. ومكحول الشامي التابعي أحد

---

(١) انظر البداية والنهاية ٩/ ٣٤٠، والكامل ٤/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٢٨٤.

العلماء الكبار في الفقه وعلوم الشرع. وعطاء بن أبي رباح أحد كبار التابعين الثقات الزهاد. وأبو جعفر الباقر وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي تابعي جليل القدر وأحد الأعلام في العلم والعمل. وقتادة بن دعامة السدوسي أحد علماء التابعين والأئمة العاملين، ونافع مولى ابن عمر المحدث، وذو الرمة الشاعر، وشيخ البخاري محمد بن مسلم الزهري التابعي المحدث.



(١٢٥ ـ ١٢٦ هـ = ٧٤٣ م)

نسبه وحياته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو العباس الأموي الدمشقي، الخليفة الفاسق[(١)].

ولد سنة تسعين للهجرة وكان من أجمل الناس وأشعرهم وأشدهم. وكان فاسقاً، شراباً للخمر، منتهكاً حرمات الله، لم يزدد في الخلافة إلا شراً ولهواً ولذة وركوباً للصيد، ومنادمة الفساق، فثقل ذلك على الأمراء والرعية والجند، وكرهوه كراهة شديدة.

سار في الناس في بداية خلافته سيرة حسنة، وأمر بإعطاء الزمنى والمجذومين والعميان لكل واحد خادماً، وأخرج من بيت المال الطيب والتحف لعيالات المسلمين، وزاد في أعطيات الناس، لا سيما أهل الشام والوفود.

قيل أراد الوليد بن يزيد الحج، وقال: أشرب فوق ظهر الكعبة، فهم قوم أن يفتكوا به إذا خرج، وكلموا خالد بن عبد الله القسري ليوافقهم فأبى، فقالوا: أكتم علينا، قال: أما هذا فنعم. ثم جاء إلى الوليد فقال: لا تخرج فإني أخاف عليك، قال ممن؟ قال: لا أجهرك بهم، قال: إن لم تخبرني بهم بعثت بك إلى يوسف بن عمر، قال: وإن، فبعث به إليه فعذبه حتى قتله.

قال ابن فضل الله في المسالك: الوليد بن يزيد، الجبار العنيد، لقباً ما عداه،

(١) هكذا سماه الذهبي في تاريخ الإسلام، حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٢٨٧.

ولقما[1] سلكه مما هداه، فرعون ذلك العصر الذاهب، والدهر المملوء بالمعائب، يأتي يوم القيامة يقدم قومه فيوردهم النار، ويرديّهم العار، وبئس الورد المورود، والمورد المردي في ذلك الموقف المشهود، رَشَق المصاحف بالسهام، وفسقُ ولم يُخفِ الآنام.

قال الوليد: المحبة للغناء تزيد في الشهوة، وتهدم المروءة، وتنوب عن الخمر، وتفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء رقية الزنا، وإني لأقول ذلك على أنه أحب إلي من كل لذة، وأشهى إلى نفسي من الماء إلى ذي الغلة، ولكن الحق أحق أن يتبع[2].

توليه الخلافة

لما حضرت الوفاة والده يزيد بن عبد الملك لم يمكنه أن يستخلفه لأنه صبي حدث، فعقد لأخيه هشام وجعل الوليد ولياً للعهد من بعد هشام. فلما توفي هشام بايع الناس الوليد لست مضين من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين ومائة[3].

وقد كان الزهري يحث هشاماً على خلع الوليد هذا، فيحجم هشام عن ذلك خوف الفضيحة من الناس، ولئلا تتنكر قلوب الأجناد من أجل ذلك. وكان الوليد يفهم ذلك من الزهري ويبغضه ويتوعده. ويتهدده فيقول له الزهري: ما كان الله ليسلطك علي يا فاسق، ثم مات الزهري قبل ولاية الوليد، ثم فر الوليد من عمه إلى البرية، فلم يزل بها حتى مات هشام. فركب من فوره إلى دمشق، وجاءته البيعة من الآفاق[4].

---

(١) اللقم: الطريق.

(٢) قيل إن قائلها يزيد بن الوليد بن عبد الملك

(٣) أنظر ترجمته في البداية والنهاية ١٠/٦ ـ ٨، والكامل ٤/٢٦٨ ـ ٢٦٩، وتاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٢٨٧ ـ ٢٩٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ١٠٣ ـ ١٠٤، وتاريخ الخلفاء ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

(٤) البداية والنهاية ١٠/٣ ـ ٤

الحوادث في عهده

سنة خمس وعشرين ومائة

في هذه السنة عقد الوليد البيعة لابنه الحكم ثم عثمان، على أن يكونا وليي العهد من بعده.

الأمراء في عهده

ثبَّت الوليد على العراق يوسف بن عمر الثقفي، وكتب بالإمارة لنصر بن سيار على خراسان، ثم أعاد ضمها إلى يوسف بن عمر. وولى الوليد أيضاً خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي المدينة ومكة والطائف[1].

سنة ست وعشرين ومائة

قتل الوليد

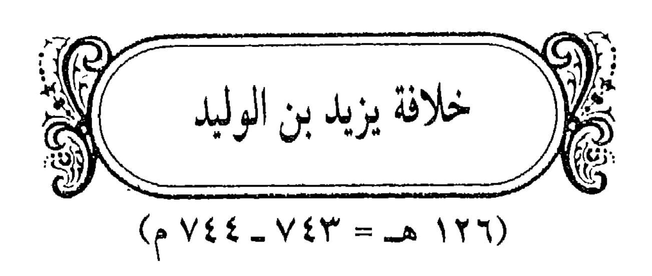
كره الرعية خلاعة ومجون الوليد، وما فعله من قتل خالد بن عبد الله القسري، وبايع الناس يزيد بن الوليد على قتل الوليد.

وحدث أن ظهر وباء في دمشق فخرج الوليد إلى مشارف دمشق مع مائتين من جنده، وبايع أهل دمشق يزيد بن الوليد في الليل، وأمر يزيد بإغلاق أبواب المدينة فلما علم الوليد بالأمر ركب بمن معه من الجنود لقتال أصحاب يزيد، فاقتتلوا والوليد ينتظر المدد بوعد من العباس بن الوليد بن عبد الملك، لكن العباس بايع يزيد بن الوليد، وتفرق جند الوليد، فهجم عشرة من الأمراء على الوليد فضربوه بالسيوف حتى قتلوه، وكان ذلك ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من هذه السنة، وكان عمره يوم قتل ستاً وثلاثين سنة، ومدة ولايته سنة وستة أشهر[2].

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٤ ـ ٥، والكامل ٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦١.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٩/ ٢ ـ ١٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٨ ـ ١١، والكامل ٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٨.



خلافة يزيد بن الوليد

(١٢٦ هـ = ٧٤٣ ـ ٧٤٤ م)

نسبه وحياته

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أبو خالد الأموي الدمشقي، أمير المؤمنين، ملقب بالناقص[١]. وأمه أم ولد اسمها شاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى، وهو القائل:

أنا ابن كسرى وأبي مروان   وقيصر جدي وجدي خاقان

وإنما جعل قيصر وخاقان جديه لأن أم فيروز بن يزدجرد ابنة كسرى شيرويه بن كسرى، وأمها ابنة قيصر وأم شيرويه ابنة خاقان ملك الترك. تزوج يزيد أخت سليمان بن هشام، وهي أم هشام بنت هشام.

ولد سنة ستة وتسعين، وكان عادلاً ديناً محباً للخير، مبغضاً للشر، قاصداً للحق، يقال في المثل: الأشج والناقص أعدلا بني مروان، والمراد بالأشج عمر بن عبد العزيز. وعن الشافعي: لما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي يقال له الناقص دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرب أصحاب غيلان. وكان نقش خاتمه: العظمة لله.

توليه الخلافة

بويع أولاً في دمشق بالخلافة كما قدمنا، وبعد قتل الوليد مباشرة بايعه الناس

---

(١) إنما سمي الناقص لأنه نقص الزيادة التي كان الوليد زادها في عطيات الناس وهي عشرة عشرة، ورد العطاء إلى ما كان أيام هشام.

بالخلافة وذلك لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من سنة ست وعشرين ومائة. ولما قتل الوليد خطب الناس فقال:

أما بعد إني والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبة في الملك، وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي، ولكن خرجت غضباً لله ولدينه، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه حين دَرَسَت معالم الهدى وطفىء نور أهل التقوى وظهر الجبار المستحل للحرمة والراكب البدعة، فلما رأيت ذلك أشفقت إن غشيتكم ظلمة لا تقلع عنكم على كثرة من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم، وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه فيجيبه، فاستخرت الله في أمري، ودعوت من أجابني من أهلي وأهل ولايتي، فأراح الله منه البلاد والعباد ولاية من الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. أيها الناس إن لكم عندي إن وليت أموركم أن لا أضع لبنة على لبنة ولا حجراً على حجر، ولا أنقل مالاً من بلد حتى أسد ثغره، وأقسم بين مسالحه ما يقومن به، فإن فَضَلَ رددته إلى البلد الذي يليه حتى تستقيم العيشة وتكون فيه سواء، فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم، وإن ملت فلا بيعة لي عليكم، وإن رأيتم أحداً أقوى مني عليها فأردتم بيعته فأنا أول من يبايع ويدخل في طاعته، وأستغفر الله لي ولكم[1].

بقية حوادث سنة ست وعشرين ومائة

أهل حمص

لما قتل الوليد أغلق أهل حمص أبوابها، وأقاموا النوائح والبواكي عليه، وأظهروا الأخذ بدم الوليد على أن يكون الحكم بن الوليد بن يزيد هو الخليفة، وخلعوا نائبهم ثم قتلوه وابنه وأمَّروا معاوية بن يزيد بن حصين عليهم، وخرجوا في جيش كثيف لقتال جند الخليفة، فالتقوا عند السليمانية فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً فقتل الكثير من الفريقين، ثم هزم أهل حمص ثم وافقوا على مبايعة يزيد، فانطلقوا بهم إلى يزيد فعفا عنهم وأطلق الأعطيات لهم[2].

---

(١) انظر ترجمته تاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣١١ ـ ٣١٣، والكامل ٤/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ و ٢٧٨، وتاريخ الخلفاء ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣، والبداية والنهاية ١٠/ ١٣ ـ ١٧.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ١٢ ـ ١٣، والكامل ٤/ ٢٧٠ ـ ٢٧١.

العراق وخراسان

استخلف يزيد على العراق وخراسان منصور بن جمهور، ثم عزله وولى بدلاً منه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذي أسند أمر خراسان إلى نصر بن سيار.

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بخراسان، فخرج الكرماني جديع بن علي الأزدي على نصر بن سيار، فحبسه نصر لكنه هرب والتف حوله رجال من الأزد في ثلاثة آلاف مقاتل، لكن بعض الناس سعوا بالخير، فخرج الكرماني بعد فترة إلى جرجان[1].

البيعة لابراهيم

في هذه السنة أمر يزيد بن الوليد بالبيعة لأخيه إبراهيم ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك[2].

وفاة يزيد

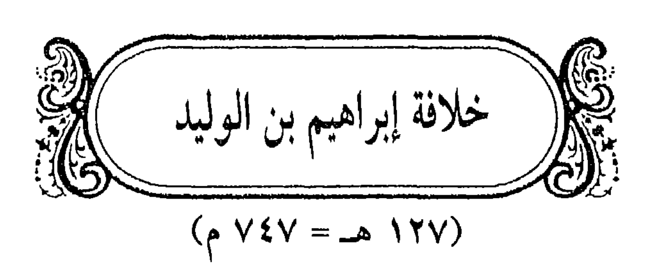
في هذه السنة توفي يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذي الحجة، وكانت مدة خلافته ستة أشهر وليلتين، وكان موته بدمشق وعمره ستاً وأربعين سنة، وقيل سبعاً وثلاثين سنة، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير[3].

---

(١) الكامل ٤/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) المصدر السابق ٤/٢٧٨، والبداية والنهاية ١٠/١٥.

(٣) الكامل ٤/٢٧٨، والبداية والنهاية ١٠/١٧.



(١٢٧ هـ = ٧٤٧ م)

نسبه وحياته

هو إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو إسحاق المرواني الأموي، وأمه أم ولد.

بويع بالخلافة بعد موت أخيه يزيد الناقص، فقيل إنه عهد إليه، وقيل لا. قال بُرد بن سنان: حضرت يزيد بن الوليد وقد احتضر، فأتاه قطن[١] فقال: أنا رسول من وراءك يسألونك بحق الله لما وليت أمرهم أخاك إبراهيم بن الوليد، فغضب وقال بيده على جبهته: أو أولّي إبراهيم! ثم قال لي: يا أبا العلاء إلى من ترى أعهد؟ قلت: أمر نهيتك عن الدخول فيه فلا أشير عليك في آخره، قال: وأغمي عليه حتى حسبته قد مات، فقعد قطن فافتعل كتاباً بالعهد على لسان يزيد، ودعا ناساً فاستشهدهم عليه ولا والله ما عهد يزيد بن الوليد شيئاً.

مكث إبراهيم في الخلافة سبعين ليلة، ثم خلع، خرج عليه مروان بن محمد وبويع فهرب إبراهيم، ثم جاء وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى مروان، وبايع طائعاً.

عاش إبراهيم بعد ذلك إلى سنة اثنتين وثلاثين، فقتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفاح[٢].

---

(١) مولى يزيد بن الوليد.

(٢) أنظر ترجمته في: تاريخ الخلفاء ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤، وتاريخ الإسلام حوادث سنة ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣٤ ـ ٣٥.

الحوادث في أيامه

سنة سبع وعشرين ومائة

خروج مروان بن محمد

كان مروان بن محمد الملقب بالحمار نائباً على أذربيجان وأرمينية، وكان قد نقم على يزيد بن الوليد لقتله الوليد بن يزيد، وأقبل في طلب دم الوليد، فلم يمض إلا وقتاً قليلاً حتى بلغه موت يزيد بن الوليد، فجمع الأبطال وسار في أهل الجزيرة حتى وصل قنسرين، فحاصر أهلها فنزلوا على طاعته. ثم أقبل إلى حمص فحاصرهم فبايعه أهلها وساروا معه إلى دمشق فبلغ عددهم ثمانين ألفاً، وبعث إبراهيم بن الوليد جنداً مع سليمان بن هشام بن عبد الملك في مائة وعشرين ألفاً، فالتقى الجيشان عند عين الجر من البقاع، فاقتتلوا وكثر القتل بينهم حتى انهزم جيش الشام، وأسر منهم نحواً من سبعة عشر ألف رجل وقتل منهم مثل ذلك.

وسار مروان حتى وصل دمشق، فهرب إبراهيم بن الوليد، وبايع الناس مروان بن محمد، ثم قال لهم اختاروا أمراء نوليهم عليكم، فاختار أهل كل بلد أميراً فولاه عليهم.

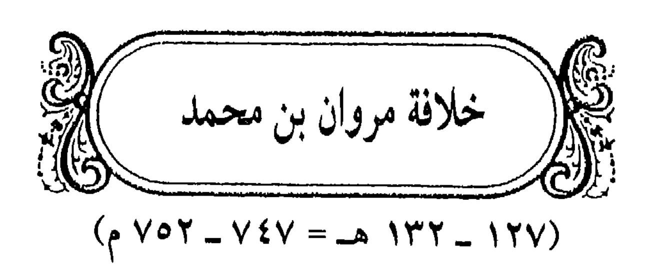
ولما استقرت الشام لمروان رجع إلى حران، وعند ذلك طلب منه إبراهيم بن الوليد وابن عمه سليمان بن هشام الأمان فأمنهما.

وبعد مرور ثلاثة أشهر على إقامة مروان في حران نقض أهل الشام وحمص البيعة، فسار مروان إلى حمص فدخلها. وأما الشام فأرسل إليهم مروان عشرة آلاف مقاتل فدخلوها وأحرقوا المزة.

وأقام الخليفة مروان بدير أيوب عليه السلام مدة حتى بايع لابنه عبد الله ثم عبيد الله وزوجهما ابنتي هشام، ثم استوثق أمر الشام لمروان[1].

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٠/ ٢١ ـ ٢٤، والكامل ٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٧، وتاريخ الطبري ٩/ ٥٣ ـ ٥٧، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ١١٢ ـ ١١٣.



خلافة مروان بن محمد

(١٢٧ ـ ١٣٢ هـ = ٧٤٧ ـ ٧٥٢ م)

نسبه وحياته

هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة، أبو عبد الملك الأموي آخر خلفاء بني أمية، الملقب بمروان الحمار ومروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم. وقيل له مروان الحمار فإنه كان لا يخف له لَبِد في محاربة الخارجين عليه حيث يقال: فلان أصبر من حمار في الحرب، كان يصل السرى بالسير ويصبر على مكاره الحرب.

ولد مروان بالجزيرة سنة اثنتين وسبعين وأبوه متوليها، وأمه أو ولد، قيل كانت كردية، ولي ولايات جليلة قبل الخلافة، فتح قونية سنة خمس ومائة، وولي الجزيرة وأذربيجان سنة أربع عشرة ومائة، وكان مشهوراً بالفروسية والإقدام والدهاء.

لم يتهنَّ بالخلافة لكثرة من خرج عليه من كل جانب إلى سنة اثنين وثلاثين ومائة، فخرج عليه بنو العباس، كما سيأتي، فسار لحربهم فالتقى الجمعان قرب الموصل، فانكسر مروان فرجع إلى الشام ثم فر إلى مصر وقتل هناك.

البيعة لمروان

بويع مروان أولاً في أرمينية، فلما بلغه موت يزيد الناقص أنفق الخزائن وسار في بضع وثلاثين فارساً إلى الجزيرة فبايعة أهلها، ثم بايعه أهل حلب ثم حمص، وساروا معه إلى دمشق، كل ذلك والخليفة كان إبراهيم بن الوليد، ومروان يريد البيعة للحكم وعثمان ابني الوليد، وكانا محبوسين عند إبراهيم، فلما علم

مروان بقتلهما استشار أصحابه فأشاروا عليه بأخذ البيعة لنفسه وهكذا كان، كما أشرنا إلى ذلك قبل صفحات قليلة[1].

بقية حوادث سنة سبع وعشرين ومائة

الخوارج

في هذه الفترة ظهر سعيد بن بحدل الخارجي بنواحي الموصل وتبعه خلق كثير، وقبل أن يستفحل أمره مات واستخلف الضحاك بن قيس المحكّمي، فاستولى على تكريت، ثم سار منها إلى الكوفة فعسكر بدير الثعالب[2] في نحو من ثلاثة آلاف، فالتقاه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فكان بينهما وقعة عظيمة انكسر فيها عبد الله وتحيز إلى واسط، وملك الضحاك الكوفة وقوي أمره، ثم سار في رمضان إلى واسط فحاربه عبد الله بن عمر ودام القتال بين الفريقين شهراً أو أكثر وقتل خلق كثير، وبعد ذلك صالحهم عبد الله بن عمر فكفوا عن قتالهم.

ثم سار الضحاك إلى الموصل فخرج لحربه واليها فقُتل، ثم استولى الضحاك على الموصل، واتسع سلطانه، فكتب الخليفة إلى ولده عبد الله والي الجزيرة فأمره أن يعسكر بنصيبين، فسار إليه الضحاك فحاصره نحواً من شهرين[3].

وفي هذه السنة أيضاً خرج بأذربيجان بسطام التغلبي فسار في نيف واربعين فارساً حتى قدم بَلَد[4]، فسار إليه عسكر من الموصل فأصاب منهم، ثم قدم نصيبين فعاث وشغب في حياة الضحاك، فجهز له الضحاك عسكراً فقتله وغالب أصحابه[5].

الأندلس

في هذه السنة خلع أهل الأندلس أبا الخطار الحسام بن ضرار أميرهم، بسبب

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٠/ ٤٥ ـ ٤٦، وتاريخ الخلفاء ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥، وتاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٥٣٣ ـ ٥٣٦.

(٢) دير الثعالب: يبعد عن بغداد ميلين أو أقل (معجم البلدان ٢/ ٥٠٢).

(٣) انظر تاريخ الإسلام حوادث سنة ١٢١ ـ ١٤٠ ص ١٨ ـ ٢٠، والكامل ٤/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٤) بلد: اسمها بالفارسية شهر أباد، وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل (معجم البلدان ١/ ٤٨١).

(٥) عن تاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٢٠.

العصبية التي حصلت بين اليمانية والمضرية، وأمَّروا عليهم ثوابة بن سلمة الحداني، وذلك بعد وقعة عظيمة بين أبي الخطار واتباعه من اليمانية وبين المضرية أسر فيها أبو الخطار[1].

شيعة بني العباس

في هذه السنة توجه سليمان بن كثير، ولاهز بن قريظ، وقحطبة من دعاة بني العباس إلى مكة ومعهم أبو مسلم الخراساني، فلقوا إبراهيم بن محمد الإمام ولم ينتظم لهم أمر في هذه السنة لكثرة الشرور المنتشرة والفتن الواقعة بين الناس[2].

سنة ثمان وعشرين

شيعة بني العباس

في هذه السنة بعث إبراهيم بن محمد الإمام أبا مسلم الخراساني إلى خراسان، وكتب معه كتاباً بالسمع والطاعة له وتوليته أمر خراسان. لكن أهل خراسان أعرضوا عنه، فرجع إلى إبراهيم فاشتكاهم أيام الحج، فأرسله مرة أخرى على أن يدعو حياً من اليمن فقط[3].

الضحاك الخارجي

بعد مصالحة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الضحاك الخارجي، خرج الضحاك يريد الشام، وبلغ الأمر مروان الخليفة وهو محاصر حمص لعدم مبايعتهم إياه، فسار إليه مروان فالتقيا بنصيبين، ومع الضحاك نحواً من مائة وعشرين إلفاً، فاقتتلا قتالاً شديداً فقتل الضحاك وبكى أصحابه عليه.

واستخلف الضحاك رجلاً يقال له الخيبري فالتف عليه بقية جيش الضحاك والتف معه سليمان بن هشام بن عبد الملك وأهل بيته، فلما أصبحوا اقتتلوا مع مروان فانهزم جيش الشام، ودخل الخيبري خيمة مروان، هذا وميمنة مروان ثابتة وعليها ابنه عبد الله، وميسرته أيضاً ثابتة وعليها إسحاق بن مسلم العقيلي، فأقبلوا

---

(١) الكامل ٤/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٢٥، والكامل ٤/ ٢٩١.

(٣) البداية والنهاية ١٠/ ٢٧ ـ ٢٨، والكامل ٤/ ٢٩٥.

على الخيبري بعمد الخيام فقتلوه بها، وانهزم أصحاب الخيبري ، وولوا عليهم شيبان، فقصدهم مروان بعد ذلك بمكان يقال له الكراديس فهزمهم[1].

* * *

وفي هذه السنة ولى مروان على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ليقاتل من بها من الخوارج.

سنة تسع وعشرين ومائة

الخوارج

في هذه السنة اجتمعت الخوارج على شيبان بن عبد العزيز بن الحليس اليشكري الخارجي، وتحول إلى الموصل، فتبعهم مروان وحاصرهم سنة يقتتلون في كل يوم بكرة وعشية، ثم أمد يزيد بن عمر بن هبيرة مروان بجند العراق، فقطع الإمدادات عن شيبان، ثم هرب شيبان إلى الأهواز، فتبعهم جند مروان يقتلون من تخلف منهم حتى قتل شيبان في السنة القابلة، ثم عاد مروان من الموصل وأقام بمنزله بحران[2].

إظهار الدعوة العباسية

في هذه السنة أرسل إبراهيم الإمام بطلب أبي مسلم الخراساني من خراسان، فسار إليه مظهراً الحج، وفي الطريق أرسل إبراهيم كتاباً يطلب فيه من أبي مسلم العودة إلى خراسان وإظهار الدعوة العباسية بإمرته. فرجع أبو مسلم فدخل خراسان أول يوم من رمضان، وبعث أبو مسلم دعاته في بلاد خراسان، وأمير خراسان نصر بن سيار مشغول بقتال الكرماني وشيبان الحروري، فظهر أمر أبي مسلم وقصده الناس من كل جانب، وفتحت على يديه أقاليم كثيرة.

ولما كان ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان في هذه السنة، عقد أبو مسلم اللواء الذي بعثه إليه الإمام ويدعى الظل، وعقد الراية التي بعث بها الإمام أيضاً وتدعى السحاب، وهما سوداوان. ولبس أبو مسلم وسليمان بن كثير ومن

---

(١) الكامل ٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) الكامل ٤/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٩ ـ ٣٠.

أجابهم إلى هذه الدعوة السواد، وصارت شعارهم. وأوقدوا في هذه الليلة ناراً عظيمة يدعون بها أهل تلك النواحي، وكانت علامة بينهم فيجتمعون.

ولما كان يوم عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي بالناس، وأن يخالف بني أمية ويعمل بالسنة، فنودي لصلاة جامعة، ولم يؤذن ولم يقم خلافاً لهم، وبدأ بالصلاة قبل الخطبة، وكبر ستاً في الأولى وخمساً في الثانية.

لما علم نصر بن سيار من أمر أبي مسلم ما تقدم، بعث خيلاً عظيمة لقتاله، فأرسل أبو مسلم إليهم مالك بن الهيثم الخزاعي، فالتقوا، فدعاهم مالك إلى الرضا عن آل رسول الله ﷺ، فأبوا ذلك فتحاربوا فظفر بهم مالك، وهذا كان أول موقف اقتتل فيه جند بني العباس وجند بني أمية[١].

مقتل الكرماني

حارب نصر بن سيار: الكرماني، فمال إلى الكرماني أبو مسلم الخراساني، فدعاه نصر إلى الموادعة، فقبل الكرماني من نصر، لكن نصر أبصر غرة من الكرماني فقتله، وانضم من كان مع الكرماني إلى أبي مسلم[٢].

الأندلس

في هذه السنة توفي ثوابة بن سلمة أمير الأندلس، فاختلف الناس بعده بين مضرية ويمانية، فأشار عليهم الصميل أن يكون الوالي من قريش فرضوا بذلك، فاختار لهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري. فلما علم أبو الخطار بذلك سعى بالفتنة، فانقسم الناس ثانية مضرية ويمانية، فاقتتلوا أياماً كثيرة، ثم انهزمت اليمانية وقتل أبو الخطار[٣]

سنة ثلاثين ومائة

أمر أبي مسلم

في جمادى الأولى من هذه السنة دخل أبو مسلم الخراساني مرو، ونزل دار

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٠/ ٣٠ ـ ٣١، وانظر الكامل ٤/٢٩٩ ـ ٣٠١، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ١١٧ ـ ١١٨، والإمامة والسياسة ٢/ ١١٣ ـ ١١٦.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٣٢ ـ ٣٣، والكامل ٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ١١٩.

(٣) عن الكامل ٤/ ٣٠٨.

الإمارة بها، وانتزعها من يد نصر بن سيار، وهرب نصر في ثلاثة آلاف من الناس، واستفحل أمر أبا مسلم، والتفت عليه العساكر[1].

وقعة قُديد[2]

في هذه السنة كانت وقعة بقديد بين أبي حمزة الخارجي وبين أهل المدينة، قتل فيها كثير من أهل المدينة، ثم دخل الخارجي المدينة واستولى عليها، وخطب من على منبر رسول الله ﷺ، وأحسن السيرة في أهل المدينة فأحبوه، إلى أن سمعوه يقول: من زنا فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، فعند ذلك أبغضوه.

ثم سير مروان بن محمد أربعة آلاف من خيرة جنده عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية لقتال أبي حمزة، فالتقيا بوادي القرى فانهزم أبا حمزة ورجع إلى المدينة، فنهض إليهم أهل المدينة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ودخل عبد الملك المدينة ثم دخل مكة، ثم سار إلى اليمن فخرج إليه نائب صنعاء فاقتتلا فقتله عبد الملك[3].

سنة إحدى وثلاثين ومائة

وفاة نصر بن سيار

في هذه السنة توفي نصر بن سيار عن خمس وثمانين سنة، فلما مات تمكن أبو مسلم وأصحابه من بلاد خراسان، وقويت شوكتهم، وخلصت له همدان ونهاوند والري[4].

سنة ثنتين وثلاثين ومائة

خلافة أبي العباس السفاح

في هذه السنة قتل إبراهيم بن محمد بحرّان بعد أن حبسه الخليفة مروان بن

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٣٤.

(٢) قُديد: اسم موقع قرب مكة (معجم البلدان ٤/ ٣١٣).

(٣) انظر تاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٢٧ ـ ٢٩، والكامل ٤/ ٣١٤ ـ ٣١٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٥ ـ ٣٧.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢، والكامل ٤/ ٣١٧ ـ ٣٢٠، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٧ ـ ٣٨.

محمد أربع سنوات، فلما بلغ أهل الكوفة مقتله أراد أبو سلمة الخلال[1] أن يحول الخلافة إلى آل علي بن أبي طالب، لكن النقباء والأمراء أحضروا أبا العباس السفاح وبايعوه بالخلافة وذلك بالكوفة، وكان عمره إذ ذاك ستاً وعشرين سنة، وذلك ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة، ثم بايعه الناس وهو على المنبر، ثم تكلم السفاح فقال: «الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه ديناً، وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا، وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه والقوام به والذابين عنه والناصرين له، وألزمنا كلمة التقوى، وجعلنا أحق بها وأهلها، خصنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته، ووضعنا بالإسلام وأهله في الموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم، فقال تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[2] وقال: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾[3] وقال: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[4] وقال: ﴿**وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين**﴾[5] الآية، فأعلمهم عز وجل فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا، وتفضلة علينا، والله ذو الفضل العظيم. وزعمت السبابية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم.

أيها الناس، بنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، ونصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الخسيسة، وأتم النقيصة وجمع الفرقة؟ حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر ومواساة في دنياهم، وإخواناً على سرر متقابلين في أخراهم، فتح الله علينا ذلك منة ومنحة بمحمد ﷺ، فلما قبضه إليه قام بذلك الأمر

---

(١) هو حفص بن سليمان الهمداني الخلال، أنفق أموالاً كثيرة في سبيل الدعوة العباسية، استوزره السفاح، وهو يعتبر أول وزير في الإسلام.

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٣.

(٣) سورة الشورى آية ٢٣

(٤) سورة الشعراء آية ٢١٤

(٥) سورة الحشر آية ٧.

بعد أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحووا مواريث الأمم فعدلوا فيها، ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا خماصاً منها، ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها لأنفسهم وتداولوها، فجاروا فيها واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً ﴿**فلما آسفونا انتقمنا منهم**﴾[1] فانتزع منهم ما بأيديهم بأيدينا، ورد الله علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وتولى أمرنا والقيام بنصرنا ليمنَّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا، وإني لأرجو أن لايأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله.

يا أهل الكوفة، أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا، وأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا فأنا السفاح الهائج والثائر المبير»[2].

ثم قام عمه داود بن علي فخطب وأبلغ، ثم نزل العباس وداود حتى دخلا القصر، ثم دخل الناس يبايعون إلى العصر، ثم من بعد العصر إلى الليل.

وبعد ذلك خرج العباس وعسكر بظاهر الكوفة واستخلف عليها عمه داود، وبعث عمه عبد الله بن علي إلى أبي عون بن أبي يزيد، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة؛ وهو يومئذ بواسط يحاصر ابن هبيرة، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن الطواف، وأقام هو بالعسكر أشهراً[3].

مقتل مروان بن محمد

لما بلغ مروان خبر أبي مسلم الخراساني، سار من حران فنزل على نهر

(١) سورة الزخرف آية ٥٥.

(٢) رواية البداية والنهاية ١٠/ ٤٠ ـ ٤١.

(٣) أنظر الكامل ٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٤٠ ـ ٤٢، وتاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٨، والإمامة والسياسة ١١٨/٢، وتاريخ ابن خلدون ١٢٨/٣ ـ ١٣٠.

قريب من الموصل يقال له الزاب، وجمع جنوده، فتقدم إليه أبو عون بن أبي يزيد أحد أمراء السفاح في جيش كثيف، والتقى الجيشان، وجاءت الإمدادات إلى أبي عون، وكان جيش مروان في مائة وخمسين ألفاً، وجيش السفاح في عشرين ألفاً، وكانت الحرب كر وفر، حتى تخاذل جيش مروان، فانهزم وقطع وراءه الجسر، وهرب مروان إلى حرّان.

ثم أمر السفاح عبد الله بن علي أمير الجيش عم السفاح أن يلحق بمروان، فدخل حمص ثم بعلبك، ثم دخل دمشق بعد حصار وقتال وأباحها ثلاث ساعات[1]، وتتبع عبد الله بن علي بني أمية فقتل منهم الكثير.

ثم أمر السفاح صالح بن علي أن يلحق بمروان إلى مصر، فلحقه، فكان لا يلتقي بخيل لمروان إلا هزمهم، حتى دلهم بعض الأسرى على مكان مروان، فإذا به في كنيسة أبو صير، فأتوه وحاصروه حتى قتلوه. وكان مقتل مروان يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة. وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام على المشهور. وبمقتله انتهت الدولة الأموية[2].

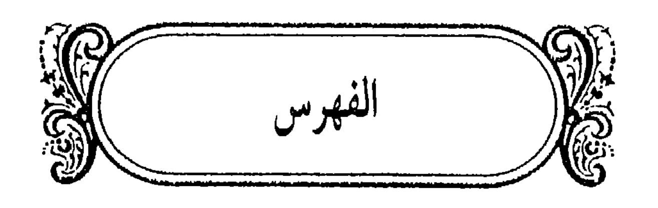
أهم الوفيات في عهده

مات في أيام مروان بن محمد من الأعلام: السدي الكبير، ومالك بن دينار الزاهد، وعاصم بن أبي النجود المقرىء المشهور، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع مقرىء المدينة المنورة، وأبو أيوب السختياني المحدث، وهمام بن منبه، وواصل بن عطاء المعتزلي.

---

(١) في تلك الاثناء حصل في دمشق من الخلافات ما دعى أهلها لجعل منبرين وإمامين في مسجد واحد، حتى إنهم جعلوا في كل مسجد محرابين، وخلافهم هذا كان أحد أسباب هزيمتهم السريعة أمام جيش عبد الله بن علي (انظر البداية والنهاية ١٠/ ٤٥).

(٢) انظر البداية والنهاية ١٠/ ٤٢ ـ ٤٦، والإمامة والسياسة ٢/ ١١٨ ـ ١٢٠، والكامل ٤/ ٣٢٧ ـ ٣٣٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ١٣٠ ـ ١٣٣، وتاريخ الطبري ٩/ ١٣٠ ـ ١٣٥، وتاريخ الإسلام حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ ص ٣٣٨ ـ ٣٤٠.



الفهرس